عوائق في درب الجهاد

محمد أحمد الراشد

مشروع التعريف بالقضية العراقية من منظور إسلامي

يُقدم رسالة

عوائق في درب الجهاد

وهي

نفضةٌ تصحيحية صريحة وتوثيقات تاريخية

واستنتاجات مستنبطة من حقائق الميدان

تتولى فضح جريمة المالكي والمليشيات الطائفية في تطويق الجهاد

وتقرير أخطاء منظمة القاعدة التكفيرية

وشرح سلبيات الصحوة العشائرية التي تجاوزت حق الدفاع عن النفس

مع وصف ضغوط الواقع التي فرضت على الجهاد فتوراً وقتياً

وبيان ضرورة استئناف التخطيط الجهادي عبر تطوير واعد

والتحذير من وهدة تفاوض المجاهدين مع المستعمر قبل إعلان الانسحاب

ودور المجلس السياسي للمقاومة في الانتباه إزاء المكائد التوريطية

وواجبه في إدامة زخم الجهاد وتطويره وتحدّي الاتفاقية الأمنية

في ضوء حصيلته التجريبية ومن خلال رؤية استراتيجية

محمد أحمد الراشد

يباح لكل أحد طبع هذه الرسالة
وإعادة نشرها والاقتباس منها
ونشرها في مواقع الإنترنيت

★

الغلاف من فن الراشد

★

الطبعة الأولى
شوال ١٤٢٩هـ
تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٨م

★

الموقع الجديد للراشد على الإنترنيت
www.alrashid-online.com
راجعه ، فإنك تجد فيه النص الكامل لكتاب

" بوارق العراق "

وهو أضخم دراسة عن القضية العراقية من منظور إسلامي
في ٥٤٤ صفحة

★

مع رسالة جديدة بعنوان

" نقض المنطق السلمي "

فيها بيان خطورة المعاهدة الأمنية الأميركية العراقية
مع رسالتين في الموازين الجهادية ونقد الاستراتيجية السابقة للجيش العراقي

في العراق نجابة عتيدة ، وأصالة قديمة ؛ وفي الموسوعة العربية ١٣/ ٥ خبر عثور المنقبين الآثاريين في تل عجاجة على نهر الخابور على (دبوس من حجر المرمر منقوش بالكتابة المسمارية ، كان صاحبه يفخر بحمله سلاحا) .. !

● فالقتال وتطلعات العز والدفاع والذود في نفس العراقي مكينة راسخة متجذرة في الشعور الواعي وفي عُمق اللاشعور الباطن معاً ، تـُوجّه وتشير عند الاستفزاز والعدوان إلى خيار الحرية ومنازل العلو وفضائل الطموح ، ثم جاء الإسلام فمنح هذه الروح القتالية تقعيداً وحدوداً ، وضبطها بحلال وحرام ، وأكسبها الأدب والورع وخصال المروءة ، وأرجعها إلى عقيدة التوحيد وحَصَرها أن تكون في سبيل الله ، فصارت هي " **الجهاد** " الشريف ، عنوان المؤمن ، وشعار المسلم ، وميثاق الحُر الريادي .

● ويوم حصل العدوان الأميركي على العراق : أسرع العراقي إلى الجهاد والرد ، وأفصح عن طبيعته الموروثة ، ونطق بالصدق معدنه ، وقدمت الأمة الإسلامية الردف ، فحصل إثخان في العدو الغازي أذاقه الألم ، وأجبره على أن يضغط على رئيسه المجازف المتهور يطلب الانسحاب ، وتنامى رفض الحرب حتى كاد الرئيس المتخبط أن يُذعن ، ولكن أسعفته في اللحظة الحرجة أخطاء منظمة القاعدة وخيانات المالكي وضربات القادة الذين تسيرهم الطائفية في جيشه ، وما قدموه من إسناد استخباراتي دقيق في كشف المقاومة يعتمد قاعدة المعلومات الاجتماعية التي تمتلكها أحزاب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة وميليشيات جيش المهدي وفيلق بدر مما أنتجته المعيشة المشتركة اليومية القديمة مع أبناء المثلث السني الذين هم محضن الجهاد ، وذلك هو الذي شجع العدو على أن يمضي قدماً في شوط آخر فيه إغراء بالمال وشراء للذمم الضعيفة ، وما تخلو أمة الإسلام من منافق يزاحم المؤمن الذائد ،

وطامع يسابق الكريم ، وقلِق يخذل الراسخ المدافع ، ثم جاءت اختلاطات مصالح دول الجوار لتزيد كبت الجهاد ، ورُعب بعض دول العرب من سريان روح الجهاد من العراق إلى خارجه ، فدخل الجهاد العراقي البطولي بسبب كل هذه العوامل في دوامة صعبة ، وحصار ، ورياح عاتية عاصفة ، وساقه القَدَر إلى أن تنال منه تيارات إقليمية وعربية ودولية زعمت أنه قد استنفذ أغراضه ويليق له التفاوض ودخول مرحلة سياسية يترك فيها البندقية ، فحصل تثاقل وإبطاء ينذر باسترخاء ، وليس كذلك التقدير الاستراتيجي الصحيح ، وإنما هذا هو أوان مواصلة الضغط وبلوغ أقصى المفاصلة لتمكين دعاة الانسحاب من فرض رأيهم على الساسة في الساحة الأميركية مراعاة لاحتمالات تبدل الرئيس واستثماراً لمعطيات الانتخابات الرئاسية وحيثيات تنافس الحزبين الديمقراطي والجمهوري وما سيعقب ذلك من التأثيرات النفسية على الشعب الأميركي حين تزداد أرقام عدد قتلى المارينز والجرحى ، وتبلغ الأزمة الاقتصادية الذروة، وتضطرب أسعار النفط ، ويرتفع صوت دافع الضرائب بعدما تجاوزت كلفة سنوات الحرب آلاف المليارات ، ولغيرما هدف واضح ، وامتصت أخطاء الشركات ومجازفات الرئيس المتمرد على إرادة شعبه ٧٠٠ مليار دولار من الاحتياطي الأميركي في يوم واحد .

إن دغدغة التفاوض وربتة الحنان المزعوم من لدن دول صديقة توهم المجاهدين بخطط استثمار الجهاد سياسياً قبل أن ينجز كامل مهمته في إلجاء الرئيس الأميركي إلى اتخاذ قرار الانسحاب والإعلان عنه رسمياً وجدولته : قد تسببت في فتور لا نجد لوصفه أبلغ من بيت يقول :

خطٌ تساقط كالحزين

أرخى على العزم انكسارهْ

فالخط البياني في لوحة تصوير مسار التخطيط والواقع حين يصل في صعوده الذروة والقمة ثم يبدأ الانحدار تحت عوامل التقلص والنحت والهدر والضياع وينحني هابطاً : يترك آثاره النفسية السلبية جزماً ، ويكسر حيوية الدأب عند العاملين ونفضات الرفض وأنفاس المواصلة ، فيكون من اللازم استئناف التصعيد

واستمرار وتيرة الإلحاح وإحياء عزم الصمود ، فإن الانكسارة مهما جَبَرها جابر تترك أثراً من الضعف ولا بُد ، وجميع التأولات يمكن أن تسندها مسحة من منطق ، لكنه خافت ، بينما جثمة الاستعمار تحتاج هزة ، ورعوداً ، وإيغالاً ، وصرخات ، وتكبيرات تكبّر الله وتديم يقظة الأحرار تجاه معاهدة دائمة تختفي بين ثناياها قيودٌ وتكبيلات تمنح الشرعية لحالة الاحتلال الظالم .

لا تجنحو للسَلـم حتى يـجنحوا

إن السلام خيـانـــةٌ لا تُـــغفرُ

الحرب أولى ، والجهاد فريـــضـة

أنتم لها ، والله منـهم أكبـــرُ

وكل أحد يعلم ويقدر الصعوبة الكامنة في هذا الصمود المطلوب الذي ما هو بسهل أبداً ، والمحيط ملغوم ، والتمنيات سهلة ، والتنفيذ مرهِق ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ولكن العقيدة والشريعة الغراء كلّفت القادة والمجاهدين وصفوة المسلمين أن يثبتوا مع العزائم ، وأن يتزودوا بالصبر ، لأن مدار تحريك الحياة يقع عليهم ، وإعزاز الإسلام هو مهمتهم ، وإنما الرخصة للمستضعفين ، وأما الخاصة : فطريقتهم البذل وإزهاق الأنفس في سبيل الله ودفع ضريبة الدم والتطلع إلى نعيم الآخرة ، فوق أن العراقي سليل أبطال ، وحضاري المدى ، وتليق له المراتب العالية ، وهو القدوة لكل حُر ، وهو اليوم في جهاده يستحضر معنى إنقاذ كل أُمة الإسلام من خلال دحر الجيش الأميركي في ساحة العراق ، لما اشتهر من خطة بوش في جعل العراق مرحلة أولى في السيطرة على كل العالم الإسلامي إذا استطاع تثبيت نفسه وإذلال أهل العراق ، وعلى كل هذه الحقائق والأحاسيس ابتنى الجهاد العراقي ، ومنها انطلقت مواقفه الواعية المبكرة ، والمجاهد العراقي رَجل تضحية ومبدأ وشرف ، والمفترض فيه أن يكون في مرحلة الجهاد الوسطى ثابت القلب ، بانياً على البداية الحميدة ، ليصل بعون الله إلى النهاية السديدة ...

إني كمثل النخل يبقى شامخاً

لا ينحني ، وكذلك الأحرارُ

أصـلي عراقـيٌ ، وفرعي في الذُرا

فوق النـجوم ، ودوني الأقمارُ

بلد الصمود وما كبت فرسانُـهُ

إن الجواد وإن كـبـا : كَرّارُ

إني عراقي ، وإني صـــابـــرٌ

صبـرَ الأسودِ ، وحسبي القهارُ

● وساحة العراق هذا الموسم تشهد اختلاط الأمور ، وبروز الشبهات ، وشكوكاً حول الثوابت ، وبخساً في الموازين ، ونعيقاً من المخذلين ، وغبشاً في الرؤية ، ومزاحمة الشهوات لأخلاق الوفاء والإخلاص ، مما يوجب نمطاً من المكاشفة والكلام الصريح والموعظة المناسبة لحجم الخطر الكامن نتقدم بها إلى جميع أطراف القضية : إلى المقاومة الجهادية ، والناس ، والحكومة ، والأحزاب ، والدول العربية ، والدول الإقليمية ، وجهات الإسناد والتبرع ، وكتلة المهاجرين من العراقيين ، ثم أميركا نفسها ربما ، وبدون معرفة مواطن الخلل وخطأ التقدير والسلوك لا يمكن الاستدراك والإصلاح وتعديل المسار .

❑ نفضات الأحرار .. ترسم المدار

□ والجهاد فن وعلم وتجريب وأداء خططي وسلوك حضاري ، وتحدده شروط وأوصاف شرعية ومعرفية ، وتحكمه أخلاقيات حساسة ، وليس هو مجرد حمل سلاح واقتران صيحة بلعلعة الرصاص ، والنفسُ الجهادية نفسٌ عفيفة عادلة منقادة لآداب الإيمان ولها براءة من لوثات المشاعر الجاهلية والعصبيات والمطامع ، ثم العقل الجهادي عقلٌ يستأسِر للمنطق ومفاد الوعي السياسي ومدلول الحكمة الموروثة ، وكل غفلة طارئة تليق لها سرعة الإفاقة واليقظة .

● ومَن يعرف العراق : يعرف طيبة وعفوية في طبيعة أهله منذ القديم تحملهم بعد طول الجهاد والمراس وقوة الشكيمة على التأول الغريب وتصديق المعتدي إذا أظهرَ التوبة وخادعَ وزعمَ تبديل سياسته ومال إلى حديث السلم والتعويض والتفاوض إذا اكتوى بشدة بأس القتال ، فيكون من العراقي العفو ، وتوقعه فذلكات الخصم في رهق يتحمله بالتقسيط الطويل بدل رهق ثقيل كان يرزح تحته في صورة كتلة واحدة ، ويقبل معاهدة فيها حَيف وظلم والتفاف عليه من بعدما كان وضوح المفاصلة واستعار القتال يحميه ويوفر له الأمن ويمنع العدو من مَدّ جذوره وترسيخ سطوته ، وضريبة هذا الأمن كبيرة ، فيها دماء وجراح وجوع وتعب ، لكنها مع ضخامتها أصغر من ضريبة القيود وشروط التعسفات التي تفرضها المعاهدات .

وتلك هي هفوة المقاتلين منذ عهد كلكامش قبل أربعة آلاف سنة .

ففي الملحمة أن " أغا " لما احتل مدينة " أوروك " في العراق القديم ، التي لعلها أصل اسم العراق : (تصدى الشاب كلكامش له بالاعتماد على الشباب ، بعد أن خذله شيوخ المدينة وجنحوا إلى الاستسلام) .

(لكن المفاجأة تكمن في عفو كلكامش عن الغازي ، فيهبه الحياة) .

هكذا هو النص الذي أوردته الموسوعة العربية ١٤/ ٣ .

وذلك لأن كلكامش كان صريع مفهوم القَدَر العاتي الذي في الموت .

● وأخشى الخشية أن يهب الجهاد العراقي اليوم الحياة إلى الجيش الأميركي الغازي من بعدما تألم وفكّر بالرحيل ، فشيوخ المدينة الذين يزعمون التعقل لهم مصالح ، ويمدون أعناقهم وأيديهم لمال واستثمار وعقود ومقاولات مشبوهة لدى المعتدي الأميركي ، وهو مال العراق والشعب الذي يمثل ثمن النفط الذي استولى عليه ويستخدمه في تخديرهم ، حتى صاروا دعاة لبدعة السلم بدل الجهاد ، وتفلسفوا في سياستهم ، فهادنوا المحتل ، ثم صاروا يداً له في التضييق على الجهاد ، وعيناً له على المقاومين ، وهم يفصحون اليوم عن الرضا بمعاهدة دائمة فيها منح أميركا حقوق استعمار العراق وتبديل هويته وتغيير تربية

أجياله القادمة ، ثم يراد لهم عقد سلم مع إسرائيل بدأ الحديث عنه في صورة قرار للكونغرس يدعو الرئيس الأميركي إلى الضغط على الحكومة العراقية للاعتراف بدولة اليهود .

● لكن الشباب هم سادة الرفض والإباء ، وهم في كل منظماتهم ثقات ، ولكن الوسوسة تفرض نفسها في صورة تكرار للهفوة الكلكامشية فيرتجل قيادي العفو عن العدو فجأة من دون جدول انسحاب ، وينسى تاريخ الاستعمار وما ارتكبه الاحتلال من جرائم ، وتكون المفاوضة التي لا سند لها غير الوعود التي لم توثق رسمياً ولا تكون الأمم المتحدة عليها من الشهود .

وهذا لأن كلكامش كان يبتغي معرفة طريقة سياسة الحياة ، فهام وحار وتاه وأغراه السراب ، وغاية ما وصل إليه من معرفة أن الموت أقوى منه ومن كل البشر .

● ولذلك هدى الله الحيارى بالنبوّات والرسالات السماوية التي تقطع تذبذبات الموقف العقلي بالوحي وثوابت الشرع والدين والقرآن التي تجعل الجهاد يمضي إلى يوم القيامة ، وتمنح المسلم العزة التي تتركه يدأب في التمرّد على الكافر المستعمر والظالم ومقاومتهما وجهادهما .

● ومن هنا أصبحت لا تصلح للمجاهدين وسياسة البلد قيادة كلكامشية تسقط في المفاجأة وتقع في الورطة وينطلي عليها تخطيط أميركي تعلم أميركا مدى الجفلة التي تصيب العراقي لو قدمته مباشرة ، فتنيب عنها في تقديمه دولة عربية أخرى تمنحه ملامح جمالية وتسمي الأشياء بغير أسمائها ، بل تصلح لقيادة الجهاد قيادة إيمانية إسلامية شرعية رحمانية قرآنية واعية لدربها الشائك ، وحتى الآن لا نعلم عن الرهط إلاّ خيراً ، وهم نجباء حلماء ، ولكن تجارب التاريخ وخبائث المستعمر تميلان بنا إلى الاحتياط وتعجيل الموعظة قبل وقوع الفلتة ، والعصمة غير منفية عن كل البشر ، وطريق الاقتراب منها يستدعي مثل هذه النصيحة ، وبث هذه التخوفات ، دفعاً للاحتمالات السلبية ، وإبعاداً لوسوسة شيطانية تصرع مستعجلاً في ساعة دهشة فيجنح إلى انفراد باجتهاد سلمي لا يناسب تطور الأحوال ولا يليق

لجهاد عراقي هو اليوم فخر الأمة الإسلامية واحتل مكانة الشريك القرين للجهاد الفلسطيني البطولي .

● إن القيادي المسلم ليس صريعاً لبدعة القَدَر مثل كلكامش ، ولا يستسلم لقدر السوء ، بل يعانده ويصارع أقدار الشر والمؤذيات بأقدار الخير ، ويكون مع المراد الديني لرب العالمين ، الذي أوضحته أحكام الشريعة ، فإنَّ الخير والشر بيد الله تعالى ، وهو يخلق الشر ولا يريده ولا يحبه ولا يرضاه لعباده ، والمؤمن اللبق يدرك هذه الحكمة الربانية ويبقى رافضاً للشر حتى يتحول إلى قدر نافع فيه عز وحماية ورفع رأس وإزاحة للظلم ، والجهاد جزء من المأمورات الشرعية التي تحقق ذلك .

كان كلكامش يرى الموت قفلاً يقفل حياته ، والمؤمن يراه مفتاحاً يفتح له الجنة والحياة الحقيقية .

● والتاريخ شاهد ، فمدينة " أوروك " العراق لما بلعت التأويل وازدردته بضغط الشيوخ أدعياء الحكمة والعقلانية على الشباب الثائر : أدرك " كورش الإخميني " ملك فارس الدرس وانفتاح الثغرة وتمهيدات " أغا " فانساب منحدراً إلى أرض الرافدين وخرّب بابل وأعان اليهود وأعاد لهم بناء هيكل سليمان في فلسطين ، ثم ترك حفيده إسفيناً دَقه صعب الخلع اسمه " إيوان كسرى " يجعله الكسرويون دليلاً على تبعية العراق لهم ، وهم بهذا الوهم يتحركون اليوم لتخريب العراق تحت الرعاية الأميركية في عملية تدليسية لا يفطن لها حتى الوعاة ، لجودة إخراجها .

❑ الملابسات التي مهدت لظهور الصحوات

□ هذه الشواهد ضرورية لفهم اختلاطات الساحة والمناورات السياسية التي تناور بها فصائل الجهاد أحياناً وتدعوها إلى إرخاء وقتي ، فيأتي من لا يفقه السياسة

فيفهم الأمر بطريقة خاطئة ، وذلك أن المستعمر كان قد فسح المجال التام لفيلق بدر ثم لجيش المهدي الذي ينفذ السياسة الشعوبية في أن يوغلا في أذية أهل السُنة والجماعة في العراق وتخريب مساجدهم وقتل علمائهم ونبلائهم ، باعتبارهم البيئة الراعية لجاميع المجاهدين الأبرار ، فلما حصل الخلاف الأميركي الإيراني حول تصنيع السلاح الذرّي وخافت إسرائيل أن تنتقل العدوى إلى تركيا العائدة بسرعة إلى إسلامها وتمتلك الذرة وتكون خطراً على مستقبلها وأمنها : ألجأت تبدلات الموازين إلى ضرب الجيش الأميركي لجيش المهدي مع أنه كان شديد البعد عن معنى الجهاد ، ولكنه تحرش بالجيش الأميركي من أجل إشعاره بوجود قوى شيعية عراقية تثأر لإيران إذا فكر البيت الأبيض بضربها ، وجيش المهدي مرجعيته إيرانية الهوى والخطة ، وظهرت من خلال تقليم أظافر الصدريين فرصة لإعادة التوازن في ساحة العراق ، وأبطأت البندقية ، فظن من لا يعرف السياسة صواب التفاوض والسلم مع أميركا ، ونشأت الشبهة التي أوهمت الذين لا يعلمون ...

فصمتُ الليث لا يعني خنوعاً

وإنّ الصمتَ يعقبه الهجوم

وأما المجاهدون الوعاة فإنهم قد أبرموا مع ربهم عقداً صادقاً أن تبقى البندقية حارّة ، وألزموا أنفسهم وعداً أن يظل الفيصل فارقاً بين الفئتين ..

وعداً يظل السيف مشبوب اللظى

حتى يُـمـرّغَ بالثـرى استـعـمارُ

وإذا كان الهدف واضحاً ، والوسيلة شرعية ، والموقف تحوطه سنن الوعي : فإن الصراحة في النصيحة تكون واجبة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الموطن فضيلة وعنوان محبة وإخلاص وسبب تصحيح وإتقان .

● وأول من نخاطب : رجال منظمات " الصحوة " ، فإنهم في هذه المرحلة لهم أثر ميداني عميق ، وهم عامل ترجيح أحد طرفي الصراع ، طرف الاستعمار والحكومة ، وطرف الجهاد والرفض ، وأصل إيجادها كان مشروعاً وحلالاً ، إذ

فرضتها حالة دفاع العشائر وعموم الناس عن أنفسها وأرواح رؤسائها وشيوخها وعن الأموال والأعراض من عدوان تقترفه منظمة القاعدة التي تعتنق فكر التكفير وتفتي نفسها بأنها تمثل الإمارة الشرعية وتلزم الناس بما لا يلزم من طاعتها وتجعل ما يتأوله أهل السُنة والجماعة من الانتماء للجيش والشرطة بدواعي إحلال التوازن مع الطائفية : رِدّة عن الإسلام وخيانة ، فتقتل المتأول بنوع استعجال وتمنح نفسها حقاً لا تملكه ، ولكن الجيش الأميركي دخل على خط الصحوة وأقحمها في خطة عداوة لجميع فصائل الجهاد ، وتم صرف أموال حرام مشبوهة لبعض ضعاف النفوس من رجال العشائر ، فحرفوا الصحوة عن مقاصدها المحدودة إلى مقاصد هي من الحرام المحض والخيانة ، وأصبح تمييز المخلص عن النفعي الخائن من أهم الضرورات ، ولكنه أمر صعب جداً أن يتم هذا التمييز من خارج محيط الصحوة ، ولذلك نتقدم إلى عموم رجالها واعظين منذرين ، ومذكرين بالمروءة والأخلاق ووجوب تقوى الله ومخافته ، والحفاظ على السمعة التاريخية الطاهرة للعشائر العراقية ، وندعوهم إلى وضوح في مواقفهم ، والاستمرار على ما عرفناه منهم من تأييد الجهاد والستر على المجاهدين ، وأن لا يعينوا العدو عليهم بخبر أو تضييق أو تشريد ، فإن ذلك من الحرام الشرعي القطعي ، وإذا كانت هناك إساءة فإن العقوبة يجب أن تقتصر على المسيء فقط ، وموالاة الكافر المستعمر شيء قبيح في الدين والعرف ويصل إلى درجة الكفر إذا لم نجد للموالي تأويلاً شرعيا مقبولاً ، والمال زائل ، والمؤمن يقصد رضا الله ويطمع أن تحل البركة الربانية في حلاله القليل فتجعله وافراً كافياً ، والمنافق فقط هو الذي يستطيب صحبة الأميركي وعطاياه المسمومة ، وأما الرجال فإنهم يحرصون على شرفهم وشرف آبائهم وسمعتهم الخيرية المتراكمة ويرفضون أن يبددها ضابط أميركي ظالم امتلأ ضلالاً وفسوقاً وربما كان يهودياً صهيونياً يتخفى بجنسية أميركية ، وإذا كان بعض إرهاق يصيب قرى معينة من جراء العمليات الجهادية فإن الشروط هي طريقة استيفاء الحقوق ، بأن تشترط العشائر على المجاهدين عدم مباشرة الضرب داخل القرى ، وتحويله إلى خارجها ، مع استدراكات أخرى ، بسبب الرد العنيف

من وحدات الجيش الأميركي على كل قرية تنطلق منها طلقة ، وأما ما سوى الشروط فغير جائز ، بل إيواء المجاهد ونصرته وإخفائه وتمكينه والدعاء له ونقله وخلافته في أهله وعياله بالخير والحسنى والمعروف والستر : كل ذلك من الفضائل الواجبة والآداب الإيمانية اللائقة ، والصحوة اليوم بعد اختلاطها بالشوائب ومطامع الدنيويين الذين لا يراعون الآخرة : بحاجة إلى نفضة داخلية وعملية إصلاح ذاتي وتمييز للصالح عن الطالح ، والوقوف في وجه الجهاد منكر عظيم لا يرضي الله ورسوله ، ويشمئز منه المؤمنون ، والضرورات تقدر في الفقه والفتوى بقدرها ، وكانت هناك تعديات من بعض من ينشط باسم الجهاد ، فساغ الرد والتأديب وإرجاع الأمور إلى نصابها ، وذلك هو الجائز فقط بحكم الضرورة ، وأما ما زاد على ذلك من معاداة كل الجهاد فحرام في الدين ، وشبهة في العقيدة ، وسبب عار للعشيرة في المستقبل حين يكون تدوين التاريخ فيشمخ المجاهد ويكون احتقار عدو الجهاد .

● وليس من أحد فوق الموعظة ، ولا ينبغي أن يغضب أحد من مثل هذا الكلام الصريح ، فإن الأنبياء عليهم السلام صارحوا أقوامهم بما هو دون هذا ، فوقف شُعيب خطيباً يأمر الناس بوفاء الكيل والميزان وأن لا يبخسوا الناسَ أشياءهم ، وعاب موسى على اليهود البخل والخيانة ، ونادى محمد ﷺ أن : تعس عبد الدينار ، وعلماء الشرع بالأنبياء يقتدون ، وهم ورثتهم في التذكير والوعظ والنذارة ، ومَن يتعالى ويأنف يخذله الله تعالى ويجعله مذموماً مدحوراً ، ومَن أعان ظالماً : سلط الله ذلك الظالم عليه في النهاية بعد أن يستخدمه كمرحلة في ضرب الأخيار وملاحقة المجاهدين ، والله غالب على أمره ولكن المنافقين لا يفقهون .

ويتأكد هذا المعنى بخاصة بعد أن تحولت مرجعية الصحوة إلى الحكومة العراقية وارتبطت مباشرة بالمالكي بعد أن كانت تـُقاد من قبل ضباط الجيش الأميركي ، فإن هذا التحويل يوهم رجال الصحوة بزوال الحرج وانتفاء الولاء لكافر وحصول الارتباط بمسؤول عراقي ، وليس كذلك الأمر ، فإن هذا

الارتباط ظاهري فقط ، والإرادة الاستعمارية هي التي تضع الخطط وتراقب الأداء وتختار الهدف ، ثم إن المعاهدة الأمنية تجعل القوات المسلحة العراقية عوناً وظهيراً للقوات الأميركية كلما خرجت لقتال المجاهدين ، والقوات العراقية بدورها تجعل الصحوة ظهيراً لها ، فتكون أعمال الصحوة مرتبطة عن هذا الطريق بأوامر الجيش الاستعماري ، وتدور في دائرة مصلحته ، وذلك حال يجب أن يرفضه المخلص .

● وطريق إصلاح مسار الصحوة : توبة رجالها إلى الله من وساوس الشيطان التي أوهمتهم أن يضيقوا على المجاهدين ، وإنهاء الولاء العصبي العشائري للرؤساء الموالين للجيش الأميركي ، فإن ذلك من بقايا الجاهلية ، والدين يأمر باتباع الفتوى واستشارة العلماء واتخاذ الأحرار وأهل الصلاة والوعي بطانة ، ثم إعلان الأُخوّة مع كل مجاهد صادق لا يعتدي على الناس .

الله أوصى بالتآخي فاعلموا
أن الاخوّة قوةٌ وسلاحُ
فتصالحوا يا إخوتي وتوحدوا
فمع التوحّد تنجلي الأتراحُ
والمجرمُ المحتل يرحل خاسئاً
والظالمون وظلمهم ينزاحُ
ويعود للوطن الحبيب بهاؤه
والنصرُ عنوانٌ له ووشاحُ

● فإذا آمن رجل الصحوة بإعانة المجاهدين ، وكفر بأميركا وبالمال والدنيويات الزائدة ، ولم يستطع معاندة الرؤساء : فلتكن معاونته للمجاهدين سِرّاً وفي الخفاء ، وليرسل إلى المجاهدين رسالة تحية وتوثيق ، ولينشد .. .

ولإخوتي الأحرار ألف تحية
ومع التحية موثِقٌ وعهودُ

واعلم بأن النصرَ مكتوب لهم
والوعد من ربّ السماء أكيدُ
وليعلم المحتل أن عراقنا
قبرٌ ونارٌ للغزاة عتيدُ

● ومن المستحسن لرجل الصحوة الشريف المتطلع لرضا الله ودعاء المجاهدين له أن يتوب إلى الله مرة أخرى ويرسل رسالة ثانية يؤكد فيها عزمه وتقواه ووعيه ليكون عند حسن ظن المؤمنين ، ويعلنها .. .

أمن أجل " دولار " أعاف أحبتي
وأترك أهلي والديارَ بواكيا ؟
فداري وأهلي والعراقَ أعِزةٌ
ولستُ لمن أهوى - وربك- قاليا

وعندئذ سيجد قلبه بارداً ثابتاً بدل القلق الحالي ولهيب التنافس الدنيوي وقساوة أحوال الشك والحيرة ، فإن ابن عمه الموالي للمستعمر الكافر يستخدمه ويجعله تابعاً للخطة الأميركية والحكومة الطائفية وهو لا يدري ، فقد أغلقت عصبيات الطاعة الجاهلية عليه أبواب الوعي ، والطامع قد جعله جسراً يعبر عليه إلى المنصب والدولار ، وبذلك يحمل الإثم ويأتي يوم القيامة ثقيلاً بأوزاره ، وينعم ابن عمه الطامع بالدنيا ، وليس للضحية غير الفتات ، وأحوالٌ مثل هذه تحتاج أن يجلس المخلص في خلوة مع نفسه فيحاسبها وينقد واقعه ويبصر المزالق التي يدفعه نحوها الطامعون ، وخير الخطّائين من يسرع التوبة إلى الله ويحرّر نفسه ويستعد لغده ومستقبله ويضع رأسه على وسادته خالياً من الأوزار والقلق والعدوان .

● وكان من تأولات بعض المجاهدين أن يدخلوا صفوف الصحوات من أجل ترشيدها وتخفيف احتمالات الانحراف ، وذلك مقصد جيد وأسلوب جائز ، ولكن ذلك يضع على عاتق قيادات المجاهدين رقابتهم مراقبة تامة ، لأن المحيط متلوث بطمع وفرصة جمع أموال ، والشيطان حي ويغري ، وهناك عدوى تصرع الذي لم

ترسخ أقدامه ، وليكن ذلك بكامل الحذر والمهارة ، وإذا بدرت بوادر خَدَر وضعف فليكن موقف الحزم وقطع الصلة وإنقاذ المتورط وإبعاده عن مواطن الزلل حتى ولو كان عفيفاً ، فإنَّ العفاف يختلط أحياناً ببساطة وسذاجة ، وعثرات النبلاء معروفة مشهورة وتجعلنا لا نكل أحداً إلى نفسه ، بل نساعده بالنصيحة والرقابة والتوعية ، وفتنة المال بعد طول المعاناة والفقر هي أضر فتنة ، وإخوان المجاهد مرايا له تريه حقيقة صورته ، وعليه أن لا يضجر من تدخلاتهم في أمره ، فإنّ الدين النصيحة ، والمرء قويٌ بإخوانه ، ضعيف إذا انفرد ، وما عند الله خير وأبقى ، وتزداد ثقتنا بمجاهد يتواضع ويكون هو البادي بطلب نقده وتقويمه ومصارحته ، وكل امرئ فقيه نفسه ، ولا يستتر الحق عن طالبه .

❑ فُرِزعم الجهادَ رهطٌ جهلَ موازين الشرع

□ ولكن السياق المنطقي بعد هذه النصيحة الطويلة لرجال الصحوة ولمن خالطها متأولاً من المجاهدين يقودنا حتماً إلى نصيحة مقابلة للطرف الثاني المتمثل في رجال جماعة القاعدة في العراق ، لأن العدل والإنصاف يقتضي ذلك ، ومنهجية البحث تتجوّد ببسط خبرهم ، وذلك لأن أعمال الصحوة إنما هي ردة فعل لأعمال القاعدة ، وحين حصلت المبالغة عند القاعدة وارتكبت إفراطاً في القتل بالشبهة قابلت الصحوة ذلك بالمثل وحصل تفريط ، ومفهوم الوسطية يأذن لنا بنقد القاعدة كما أذن لنا بنقد الصحوة ، وسطية الإسلام ، ووسطية السياسة والتقدير ، ووسطية فهم الواقع والمصالح وفق مبادئ الحكمة والعقلانية ، ولا تستطيع القاعدة ادعاء العصمة ، بل كل جماعة يمكن أن تقترف الخطأ فتتوجه لها الموعظة ، إنما خطأ الدماء هو أكبر الخطأ ، وذلك هو سبب الحساسية والتعقيدات الحاصلة ، ومن يؤمن بالله والشرع يتهيب أن يسفك دماً بغير برهان قاطع لا خلاف فيه ، والتقي يشترط على نفسه شرط الالتزام بفتوى

كبار علماء الشرع وجمهورهم ولا تغره فتوى شاب ما زال في بداية طريق العلم وينفرد باجتهاده ، ولذلك أشار القرآن الكريم إلى وجود " الراسخين في العلم " أي الذين تعمقوا وتوسعوا وطالت معيشتهم العلمية ، فقال تعالى في أول سورة آل عمران : (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**) أي العقول ، فهو رسوخ وثبات وتثبت واقتراب من أهل العقل ، وليس هو الاستعجال ومخالفة إجماع المسلمين واعتماد الظنون ، ولو كان القتل قد نال قلة لساغ التأول ربما ، ولكن ضحايا القاعدة قد كثر عددهم ، ومعظمهم من المجاهدين والعلماء والناشطين ضد الاستعمار ، وإحصاء بسيط يوضح أنهم أضعاف عدد جنود الجيش الأميركي الذين قتلتهم القاعدة ، وتوسعت تهمة الخيانة والردة والكفر ، فكيف يستقيم هذا الفهم ، وما هناك في الحقيقة غير حسد من القاعدة للمنظمات الجهادية، فالقاعدة تريد أن تنفرد ، والجهادي يفهم أن الساحة تسع الجميع ولا يمكن أن يزعم أحد احتكارها ، وهذه هي الحقيقة ، وما من خيانة ولا ردة ، وحصلت قناعة لدى المنظمات الجهادية أن قيادة القاعدة تنصت وتعطي أُذناً صاغية لكبار ضباط المخابرات الإيرانية الذين يتصلون بها ويوجهونها نحو قتل كبار المجاهدين وأعيان أهل السنة ، بسبب وقوفهم ضد الخطة الإيرانية في الانتقام من العراق وفي تمكين الأحزاب الطائفية الموالية لها ، والقاعدة ضحية ، وتقترف ذلك من دون أن تسأل نفسها عن مقصد التوجيه الإيراني لها ، وهي على خطأ جزماً ، والتقوى تطلب منها التوقف والتوبة إلى الله وتصحيح سياستها وتوجيهها ضد العدو الأميركي فقط ، والسبب في حصول هذا الخطأ في فكر القاعدة وخطتها أنها تفتقد المفكر المحلي العراقي وتعتمد التوجيهات العامة في أشرطة من شيخها ابن لادن ، وهو لا يعرف خصوصية المجتمع العراقي المنقسم مذهبياً وقومياً ، ولا الملابسات في تاريخه القديم التي بقيت تؤثر في تاريخه المعاصر ، وقيادة الجماعات تحتاج التقديرات النسبية من قادة صاغت خبرتهم أنواع المعاناة الاجتماعية والسياسية

في نفس البلد الذي تنشأ فيه تلك الجماعة ، وهذا هو الذي جعل اجتهاد القاعدة يخالف إجماع المجاهدين العراقيين وانفردت برؤيتها وسبّبت لها ورطة الإسراف في قتل رجال الجهاد ومن يتعاون معهم من السياسيين وشيوخ العشائر ، والحل يكمن في أن تتوقف فوراً عن أسلوبها هذا وتتوسع في استشارة من تثق به من العراقيين أنفسهم من أهل العلم الشرعي والفكر والخبرة ممن أنضجتهم الكهولة وتجاوزوا سن الشباب .

ليس هذا فقط ، بل على القاعدة في العراق أن تراجع نفسها في أسلوبين آخرين هما سبب جفلة الناس منها وتنادي الصحوات ضدها :

- الأسلوب الأول : التساهل في شروط توثيق الأعضاء الذين ينتمون لها ، وفتح الباب لأُناس اشتهروا في المجتمع العراقي بالسوء والروح العدوانية والاستهتار وربما تكوين عصابات الابتزاز والتسلط على الناس ، لأن هؤلاء وجدوا عند القاعدة مالاً وفيراً وتغدق عليهم بلا حساب ، فسايروها طمعاً وليس عن اعتقاد .

وأيضاً : فإن بقايا حزب البعث في كثير من المناطق عرفوا أن ظهورهم باسم حزبهم ما عاد مرغوباً فيه ، فانخرطوا في سلك القاعدة وأورثوها طرائقهم وعداواتهم وتسببوا في تأزيم علاقاتها مع المجاهدين وعامة الناس ، وكان الأجدر أن يكون اصطفاء الأعضاء وفق شروط الفقهاء وخبرة المجربين ، لأن سلبيات الدخلاء انعكست على سمعة القاعدة ، وأقل ما حصل من بعض هؤلاء : الغرور ، والتعالي على الناس ، وشعور الفوقية ، ورغبة التسلط ، وأما من زاد على ذلك اقتراف القتل واعتقال الناس وطلب الفدية من ذويهم : فهو شيء كثير ، بل هناك قرائن على أن القاعدة قد اخترقتها المخابرات الأميركية عن طريق مثل هؤلاء القساة الذين لا نعرف عنهم أخلاقاً ولا صلاة قبل انتمائهم لها ، وأنهم تعمدوا تشويه سمعتها ، ونجحوا في ذلك ، والخبراء يتحدثون عن اختراق آخر دبّرته المخابرات الإيرانية ، والسبب هو التساهل والعمل المفتوح وقلة تمييز أحوال العناصر المنتمية أو التدقيق في تاريخها وسوابقها ، والمندس لا يجهر بأنه مندس ، بل يحاول المخادعة وتدليس

أمره وتقمص شخصية المقابل ، فينطلي الأمر على من لا تسعفه التجربة ولا يملك الفراسة .

o والأسلوب الثاني : ترجيح القتل عبر السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة ، وذهاب ضحايا من المدنيين الأبرياء ، بدعوى أن ذلك يوجد الفوضى ، والفوضى تنتج ضعف السيطرة الاستعمارية والحكومية ، وأن القتيل المدني يُحشر على نيته ، وأن القاعدة تمنحه بذلك فرصة دخول الجنة .

وهذا تخريج غريب يتجاهل منطق العقيدة والفقه ، وأثبتت التجربة أن المفعول العكسي هو الذي حصل ، وأن الناس أصبحت تؤيد الحكومة في محاولاتها منع هذه الفوضى ، بل تجعل الجيش الأميركي في صورة المنقذ لها وتبدأ تأنس به وترى في أعماله ضد الفوضى عملاً مشروعاً ، وفضلاً يتفضل به على العراقيين ، وصار هذا التسويغ النفسي هو المدخل الذي دخل منه الاستعمار إلى قلوب كثير من الناس المتضررين ، ليرتضوا المعاهدة الأمنية التي امتلأت ظلماً ، والقاعدة مدعوة إلى أن تراجع نفسها ، فإنّ العاقل مَن ينقد خططه وأحواله ويرى أنواع آثارها ، ولا يجوز المضي على طول الخط دون نقاش وسؤال للقلب ، وكبرياء الإصرار على الخطأ سلبية مذمومة ، والتابع المنفذ ربما تُدخله الطاعة العمياء جهنم ويكون في موضع اللوم وازدراء الناس له ، ولذلك تلزمه اليقظة والتحول إلى طاعة واعية يحمي بها نفسَه ومستقبله ، فإن القائد المجازف لا ينقذه حين تتعقد علاقاته مع الناس ويصير مطلوباً منهم وفي عنقه مسؤولية دماء وأموال وأعراض ، ولوعة اليتيم والأرملة نافذة الأثر وتلاحقه حتى تنتقم منه من حيث لا يحتسب ، بينما التوبة أجمل ، والحسنة أجدر أن تلغي السيئة ، وباب الله مفتوح الفناء ، ورحاب الإيمان أوسع ، والخروج من ضيق العبوس والتكفير إلى أحوال الرحمة والحب والتعاون والوقوف صفاً واحداً ضد المستعمر أصح وأصوب ، وإنما يخيب مَن يحمل ظلماً ويتبع الظنون والخيالات ويقتل الناس بلا دليل شرعي قاطع .

● والمرء يعجب كيف يكرر بعض المسلمين نفس الخطأ الذي وقع من قبل في بلاد أخرى ، فإنه ليس من دخان خانق للأنفاس إلاّ وتغذيه جمرة تحته ، وكل أعمال القاعدة في العراق إنما هي نتاج فكر التكفير الخوارجي الذي يرمي الناس بتهمة الردّة عن الإسلام من دون برهان ولا حكم قضائي ، وهذا السلوك كان معروفاً في مصر وله فكره ودعاته ، ثم تابوا منه ، وحصل في السودان والجزائر شيء منه ، ثم انتهى أمره بالقضاء عليه أو التوبة وإدراك الخطأ ، وتسرب بعضه إلى الصومال الآن ، وكانت القاعدة في العراق بعيدة عنه أول أمرها ، وقاتلت العدو الأميركي ، ثم اخترقها وصرعها بهذا الفكر وبهذه العقيدة الابتداعية الباطلة المخالفة لإجماع عقائد المسلمين فحرف عملها وصارت تقتل المجاهدين ودعاة الإسلام وشيوخ العشائر بدل قتل المارينز ، مما تولدت منه الجفلة الشعبية العامة من القاعدة وتطورها إلى عمل الصحوات التي كان أصل وجودها صحيحاً للدفاع عن النفس ورد عدوان القاعدة ، ولكنها كأي عمل لا يقوم على فكر إسلامي وفتوى وقيادة تربيها الإيمانيات : خرجت إلى غلو وأصبحت عدوة لكل المنظمات الجهادية وركنت إلى الحكومة ورضيت التعامل مع المستعمر الأميركي ، وهذه نتائج خاطئة أيضاً ، ولكن البادي أظلم ، والقاعدة هي السبب فيها ، ولولا ظلم التكفير والقتل القاعدي للأبرياء لما حصل هذا الغلو ، وعلى الطرفين الرجوع إلى الوسطية والاعتدال وتمكين الجهاد الصحيح الذي لا يؤذي العراقيين ، فإن الاستعمار إذا استقر فإنه سيبدل دين العراقيين وأخلاقهم وأعرافهم وثقافتهم ، وسيمسخ شخصيتهم الإسلامية ، وينهب نفطهم ، بل ينهب ماءهم حين ينبع في تركيا ويحوله إلى إسرائيل ، والله لا يرضى بذلك ، وأحرى بعباد الله أن لا يرضوا أيضاً ، وأن يرفضوا الذل ، ويكونوا مع أوامر الله بالجهاد ، وأن يقتدوا بالشعوب التي طلبت الحرية فنالتها ، وكل دعوى تفلسف الهدنة مع الأميركان بأنها حكمة وعقلانية إنما هي ظنون باطلة وطرق مسدودة ، والمال الذي يجده رجال الصحوة عند العدو الأميركي إنما هو مالهم النفطي المسروق منهم يعيد صرف واحد بالألف منه إليهم ليخدرهم به ، أو المال الذي يصلهم في صورة رواتب حكومية اليوم هو مالهم أيضاً ، ولو أنهم صبروا

وجاهدوا وحرروا العراق من الاحتلال لرجع إليهم مالهم كاملاً وافراً ، ولكن مَن لا ينظر بنظر الإيمان ينخدع ، وكل مَن لا يحتكم إلى الفقه وواجبات الشرع يدخل متاهة الأوهام ، والإفراط خطأ ، والتفريط إثم ، والشعوب التي ينالها الاستعمار مدعوة إلى أن تدفع ضريبة الحرية آلاماً وجوعاً ودماً ، وليس شعب العراق فوق ذلك ، وإذا استمر التهاون فستصل إسرائيل إلى ضفاف الفرات ، وكان باراك وحزبه الديمقراطي يفكرون في الانسحاب من العراق ، ولكن بعض رجال الصحوات الذين قبلوا الأموال من الجيش الأميركي وتشددوا مع المجاهدين وتقديم المعلومات الاستخبارية عنهم جعلت باراك أقل حماسة للانسحاب ، وأدرك اللوبي الصهيوني الأمر فبدأ يضغط عليه للاستمرار في استعمار العراق ، والسبب في ذلك القاعدة والصحوات معاً : القاعدة بتفريقها صف المجاهدين واغتيال النشامى من قادة الجهاد ورعيلهم الأول الذين أتقنوا توجيه الضربات الموفقة للمارينز ، ثم باغتيال دعاة الإسلام والأبرياء من شيوخ العشائر .

والصحوات بردودها التي تفتقد الوعي ، ونظرتها الموتورة نحو كل فصائل الجهاد ، وتجاوزها المقدار الضروري من الدفاع عن النفس ، وقبول العطايا المشبوهة من اليد الأميركية القذرة ، وثقتها بالحكومة الموالية للكافر المستعمر والتي قامت على أساس حزبي طائفي وأخلّت بوعودها بتحقيق التوازن ، وأبقت على مظاهر الطائفية في قيادات الجيش والشرطة والمخابرات وعموم الوزارات والمؤسسات ، بل وهي الحكومة التي قامت بأخطر عمل على الإطلاق ، والمتمثل في رفع العبء الأمني عن كاهل الجيش الأميركي والقيام نيابة عنه في ضبط البلد واعتقال المجاهدين وتقديم أدق المعلومات الاستخباراتية ، مما أدّى إلى تمكين الجيش الأميركي من تقليل عدد دورياته الآلية والراجلة إلى أقل حد ممكن لا يتجاوز الواحد من عشرين من كثافة تواجده السابق في الشوارع وطرق السفر ، وبذلك قلّت خسائره وأعداد قتلاه ، فألغى فكرة الانسحاب وقرّر استمرار الاستعمار ، وهذه الوكالة الحكومية عن الجيش الاستعماري هي الخطأ الأكبر للحكومة ، وقد ارتكبه رئيس الوزراء المالكي عن عمد وعلم بالنتائج ، وأراح المستعمرين من واجب السيطرة على العراق ،

وأعفاهم من دفع ضريبة الأرواح ، وأعان الرئيسَ الأميركي على إرضاء الشعب الأميركي وتصديق مزاعمه بنجاح الغزو واستقرار الأمر لصالحه ، وإنما فعل المالكي كل ذلك ومن قبله رئيس الوزراء الجعفري من باب الشكر لأميركا على ما قامت به من تأييد الطائفية وأحزابها والاستجابة لطلباتها بغزو العراق حين زارت وفودها البيت الأبيض تطلب العون وتبديل الموازين الاجتماعية والسياسية التي قامت على أساسها الحياة العراقية ، وحصل الانتقام والثأر التاريخي بأعتى صوره ، وانكشفت من خلال الاستعمار خاصرة العراق ، فانساب منها التدخل الإيراني الشعوبي ، وهدمت مساجد كان يُذكر فيها اسم الله كثيراً ، وطُعنت قلوب إيمانية حرة .

❑ واجب الشعب العراقي في تأكيد مناقبه القديمة

□ ولكن إذا كان صاحب الهدف المشبوه والأسلوب التمويهي الضبابي يفعل كل هذا السوء ويقترف خدمة الباطل بحماسة : فهل يصح للمواطن النجيب أن ينسى واقعه المحيط به وصعقات الألم ونزيف الجروح التي ما زالت طرية ؟

قد ينسى المرء التاريخ البعيد ويغفل عن جذور المسائل ولا يسعفه تحليل ، ولكن كيف يغفل عن منظر مرئي وآليات تعصره عصراً ووخزات مستمرة ؟

هذا ما لم يكن في شعب من شعوب الأرض قط .. !

● والسبب هو أسلوب أميركي وطريقة يهودية ، فإنّ الجيش الاستعماري لما وجد الحديدة حارة في العراق بعد الغزو ، والجهاد والإباء والرفض : لجأ إلى ابتكار إرهاق الشعب بأعمال المليشيات الإجرامية ، التي توسعت في الاختطاف والقتل وقطع الرؤوس ونسف المساجد ورمي قنابل الهاون على الأحياء السكنية ، ثم اخترقت القاعدة فجعلت القاعدي يرهق الناس لا بالقتل فقط بل بأعمال طفولية قاسية ، من كسر أصابع المدخنين ، ومعاقبة من يبيع الثلج لتبريد الماء والطعام ، بدعوى أن المجاهد في تعب والباعة يقترفون خطيئة تمكين الناس من الترف ، ثم

تراكمت الأوساخ وصارت كل الشوارع مزابل ويمنعون عمال التنظيف من رفعها بحجة أنها مكان جيد لإخفاء الألغام ، وأمثال ذلك من التهورات ، حتى كثر القتل والإيذاء لأتفه الأسباب ، وأُريقت دماء بريئة في كل المناطق السنية التي هي محضن الجهاد ، حتى تنامت في نفوس الناس إحساسات بثقل تكاليف إسناد الجهاد وانحراف بعض من يدعيه ، وبالتدريج أصبحوا يطلبون المنقذ ، وزاد الجيش الأميركي إرعاب الناس من خلال الرد العشوائي الكثيف على كل قرية أو منطقة ينطلق منها عمل جهادي مهما كان بسيطاً ، من إطلاق طلقة أو زرع عبوة أو قنص لجندي ، فتكون عقوبة أهل المنطقة جميعاً بالرمي الذي ربما يقتل أكثر من واحد ، وبالاعتقال الجزافي لشباب المنطقة ، وهدم بعض الدور ، وإتلاف الزروع والأموال ، وربما حصار المنطقة وعزلها وتجويعها ، وهذه قسوة تعلمها الجيش الأميركي من الجيش الإسرائيلي وصار بها أعنف من أشكال الاستعمار الفرنسي القديم أو الاستعمار البريطاني ، فإنهما كانا أرحم من الاستعمار الأميركي .

فباجتماع هذه الأشكال الثلاثة من الإرهاق : اجتياحات المليشيات ، والاغتيالات القاعدية ، والقسوة الأميركية : صاح الناس صيحتهم بطلب المنقذ ، فتقدم الأميركي ورشح نفسه أن يكون هو ملاذ الناس والحامي لهم من العدوان ، وزعم أن القسوة كانت من هفوات بعض الضباط الأميركان وليس سياسة عامة للجيش الأميركي ، وانطلت الخدعة على جمهور أهل العراق وأهل السنة والجماعة بخاصة ، وبدأ يضيق على جيش المهدي الذي أسرف في قتل أهل السنة وتفجير مساجدهم ، ووعد بالتضييق على المليشيات الأخرى ، ويضرب بالصحوة القاعدة ، ويقدم المال والنجدة والطعام ، وأهدى للناس (الأمن) الذي افتقدوه ، فاعتقدوا عقيدتهم الجديدة في الرضا بالوجود الأميركي والتعامل معه ليدفع عنهم ظلم المليشيات ومجازفات القاعدة ، ومن يهدده الموت يرضى بالسخونة بديلاً وحلاً وسطاً ، كما يقول المثل الشعبي ، وبدأ الركون إلى الرحمة الأميركية والثقة بها ، وفتح الدولار فتوحاً لم تفتحها البنادق والدبابات ، وبدأت مرحلة الظلمات والمتاهة وخذلِ المجاهدين وتوثيق الحكومة ، واسترخت العزائم ، وألهت الهموم الحاضرة عن

الرؤية المستقبلية وشناعة النهاية المنتظرة لهذا التوهم الساذج الذي أحاط بالناس وقعد بها عن طلب الحرية ، وصارت العزة حديثاً عاطفياً ازدانت به الشخصية العراقية في الحقب التاريخية الماضية ولا تنبض بحركة الآن .

● وهذا حال سيء ، والمظنون أنه يمثل كبوة جواد ، وتقف خلفه ضرورة طارئة مرحلية ، والعراقي أرفع من أن يستكين ، وتقوده أصالة ونجابة وعروق إيمانية ، والإفاقة من هذا الخَدَر قريبة إن شاء الله ، وذهول الذين تبتليهم المصائب ظاهرة اجتماعية نفسية معروفة ، ولذلك نبقى نملك ثقة عالية بالشعب ، وأنه سيعود إلى وتيرة الجهاد وإسناد المجاهدين والسعي نحو الحرية ، وإنما هي حيصة تحيصها حكمة مزعومة لشيوخ مدينة " اوروك " سرعان ما سيفهم أسرارها الشباب الذين طورت فطرتهم أخلاقيات الإسلام وقصص بطولات أبي عبيدة وخالد والقعقاع .

دربُ الجهادِ سبيلنا وطريقنا

وبه نحقق نصرنا ونسودُ

● وكيف لا تكون الثقة بمثل أهل الفلوجة الميامين الذين صار صنيعهم في الثبات وتحدي المحتل الغاصب أبرز نقطة مضيئة في سجل الجهاد العراقي المعاصر ؟ وهي في بنائها الاجتماعي العشائري تمثل نفس التكوين الذين انطلقت منه الصحوات ، مما يدل دلالة قاطعة على أن سياسة الصحوات تفسر الدفاع عن النفس والاحتياط ضد عدوان القاعدة بهذا التفسير الذي فيه بعض التمادي والإضافة والانخداع بمظهر النجدة الأميركية والحكومية ، وأما أصل قناعتهم فهي الجهاد ، وأصل معدنهم هو الصفاء ، وأصل أخلاقهم الكرم والبذل لا الأخذ ، ولكن حين لا يضبط الأعمال السياسية والقتالية تنظيم وتخطيط : تختلط الأمور ويجد الطامع له فرصة للتدخل واستثمار غضب الناس ، ولا تخلو عشيرة من مصلحي يتصدر تحت غطاء من أبناء عمومته الذين يمنعهم حياء القرابة من مصارحته ونهيه عن منكر التقرب من الجيش الأميركي والأنس بممثلي الطائفية وبزيارة مثل عمار الحكيم لبعض أرض الأنبار وكان من قبل يأمر مليشياته من فيلق بدر بتصفية كل أنباري .. !

فلوجة العز سَلها عن فوارسها
لا ينثنون ، وفي سُوح الوغى صُبُرُ
وجهُ العراق بهم قد ظلّ مؤتلقاً
والمجدُ فيهم زها وازدانت الغُرَرُ
هم النجومُ أنارت كلَّ داجيةٍ
هُم المثنى ، وهم سعدٌ ، وهم عُمَرُ

● ومع مَن ؟ مع أعتى استعمار عرفه التاريخ ، وشخصية الفرد الأميركي مشهورة بالسوء والقسوة ، وتراهم في الأفلام يسطون على خزينة مصرف ، وحين تكون النجاة من الشرطة يكون أول أعمال السارق أن يقتل شركاءه وأعوانه الذين نفذوا معه العملية ، لينفرد وحده بالغنيمة ، وهذا هو الذي سيحدث لرجال العشائر العراقية بعدما يستتب الأمر للاستعمار ، فإن الجيش الأميركي مستعيناً بالقوات العراقية سيبدأ بتصفيتهم وعزلهم عن مراكز السلطة قبل غيرهم ، لأن طبيعة الغدر تحركه لمثل ذلك ، ولأن أعرافهم العشائرية تمنع انتشار الطريقة التربوية التي يريدها لتمييع عزائم الشباب العراقي وتدنيسهم بالفجور والفسوق والعصيان ، بل المستعمر سيفعل ذلك لا لشيء سوى شعوره بالضجر من رتابة الحياة ، وقد روى كبير الأدباء الإنكليز المعاصرين غراهام غرين المتوفى سنة ١٩٩١ قصة طيار أميركي أيام فيتنام قتل جمعاً من الناس المستضعفين في قارب صيد في البحر لأنه كان يشعر بالملل وتكرر الأيام الهادئة وأراد تحريك الحياة بمثل استهتاره هذا ، والمتوقع حدوث ما هو أكبر في العراق إذا انتهت المقاومة ، من عقوبة شريف ، ورفع شأن ماجن ، وتمكين خائن ، وامتصاص رحيق الشعب العراقي ونفطه ومياهه وتزوير تاريخه .. !

فاليوم يا جند النبي محمدٍ
عُدّوا لهم ما استطعتموا وتدبروا
آن الأوان لأن تثوروا ، إخوتي
وثقوا بأن النصرَ آتٍ يَهدرُ

❑ حاجة الجهاد إلى الخبير النصير

والعسكري من أبناء الشعب ، الذي خدم في الجيش العراقي السابق ، من بين ضابط وفني وجندي : هو أولى من غيره بحمل شرف مساندة الجهاد ، وإسناده يكون بتعليم الصنعة الحربية ، واقتراح أساليب مناسبة للظرف ، والتخطيط لعمليات القتال ، وتوسيع آفاق المجاهدين من خلال تلقينهم فنون القتال وأسرار استعمال الأسلحة ، وإن زاد على ذلك مشاركة وتشجيعاً وحثاً ورفداً معنوياً فهو الأحسن الأمثل ، وننتظر ذلك من الضباط الكبار الذين صقلتهم الخبرة الميدانية وممارسة قيادة الوحدات أكثر مما ننتظره من صغارهم ، وفي الجميع خير وبركة ، ثم نترقبه من المهاجرين منهم أكثر مما نترقبه من لابث في العراق ، لوجود نوع من الحرية في التحرك في الخارج ، والرأي الاستشاري مهم جداً في تطوير العقائد القتالية للفصائل الجهادية ، بل وحتى غير العراقي من الخبراء وأركان الحرب والمهندسين العسكريين وعلماء الليزر والرقميات والذبذبات : عليهم مثل هذا الواجب أيضاً ، فإن الجهاد العراقي هو جهاد الأمة كلها ، وأشد ما يرهق المجاهد اليوم هو التفوق التكنولوجي الأميركي ، فإن العدو يستعمل أجهزة ترسل الذبذبات التي تفجّر العبوة قبل وصولهم إلى محاذاتها ، ونقاط التفتيش الكثيرة في الشوارع تستعمل أجهزة السونار لكشف ما في داخل السيارات المارة عند إبطائها ومرورها من الممر الضيق الذي يحددونه ، وأدوات الاستشعار الحراري تكشف مواقع إطلاق الصواريخ ومدافع المورتر ، وأصبح تنفيذ العمليات في غاية الصعوبة ، ولا بد أن يتفتق ذهن الخبراء والفنيين عن وسائل معاكسة وإبطال مفعول هذا التفوق ، وما جعل الله من داءٍ إلا وخلق بمقابله الدواء ، والأمل أن تنجدنا العقول ، والجهاد العراقي ليس بحاجة إلى مجاهد يأتيه من بلاد أخرى ، فإنّ شباب العراق عددهم كثير ، ولكنهم بحاجة إلى فن وهندسة وتكنولوجيا متقدمة ورأي ودعاية وإعلام ومال ونقل وإيواء ثم دعاء ، وتجري الآن في بغداد عملية نصب ثمانية آلاف كاميرا مراقبة في تقاطعات الشوارع توفر لغرفة السيطرة المركزية الانتباه لكل حركة يتحركها مجاهد ، وستعمم هذه

الكامرات في مدن أخرى ، وهي مضايقة بالغة الأثر ، ويجب أن نسعف الجهاد بحل .

وقول الشاعر الجهادي العراقي :

ففكّوا القيدَ عَنْ أُسدٍ غِضابٍ

ليشهدَ بَطشَها الغازي الغشومُ

هو قول أنشأته البلاغة خطاباً للحكومة التي تعين الاستعمار باعتقال المجاهدين وعلماء الشرع ومساندي الجهاد ، ولكنه قول يمكن أن نوجهه لجميع المهندسين وعلماء التكنولوجيا المتقدمة من المؤمنين : أن يفكوا القيد عن الأسود الغاضبة لتصول صولتها المباركة ، فالكامرا قيد ، والسونار قيد ، وجهاز الاستشعار الحراري قيد ، والذبذبات قيد ، ولا بُد من تحرير حركة المجاهدين ، وتلك أمانة في عنق كل فني مسلم أن يبذل علمه في سبيل الله ، والتصميم الذي يبعث به إلى المجاهدين أو السلك أو البورد الكومبيوتري أو الدارة الكهربائية الإلكترونية أو الوامضة الليزرية هي في الأثر تعدل مليون طلقة .!

❑ استئناف التخطيط الجهادي هو بداية الاستدراك الواعد

☐ وتحت شعار :

إني محبٌّ عاشق لعِراقه

قسماً بربّ العرش وهْو شهيدُ

أفديه روحي ، والدماءَ رخيصةً

حتى يُحرّرَ ، والأمانَ يعودُ

ينبغي أن تكون وقفة نقدية ، يتحاور خلالها المجاهدون في موضوع مستقبل الجهاد على ضوء المتغيرات التي طرأت في الساحة ، ويكون فيها فحص الخطط والرجال معاً ، والبدائل الممكنة ، وقراءة الخارطة من جديد ، ومعرفة الصديق الوفي والخِلّ الأبي وتمييزهما عن المصلحي والمنهار ، وعمّن أصابه التعب وانخدع بعروض

التفاوض وضحك لدغدغات الدول العربية الوسيطة ذات الوجهين ، وطرب لرنّات المثالث والمثاني من روايات الدرهم والدولار وكلام الأماني وعذوبة الألحان والأغاني ، وتريد نقل الجهاد إلى ما بين جدران الفنادق والمباني ، بدل البذل الميداني ، ثم على تاريخ البطولة ودماء الشهداء السلام .

وما هكذا شأن نقض العولمة وعربدة البيت الأبيض يكون ..!

بل من صف الجهاد نفسه يكون تصحيح المعادلات وفي القضية حيثيات كثيرة .

● أولها : أن يعلم المجاهدون أن الناس والعشائر في المناطق السنية كلها : ليسوا ضد الجهاد ، بل هم يفرحون بكل ضربة للعدو ، وقلوبهم ترقص طرباً لكل عملية جهادية ناجحة ، ويفخرون بذلك ، بما وهبهم الله من إيمان وانتماء للعراق وتاريخه الحافل بالعز وعشق الحرية ، ومعظم رجال الصحوات هم كذلك ، ما عدا نسبة قليلة نفعية مهزوزة ، ولكن الناس تعبت من مواصلة دفع ضرائب الدم والسجن وإتلاف الأموال والزروع ، وكانوا في تعب مستمر منذ أيام صدام وحروبه والحصار الطويل الذي فرضته أميركا عليهم حتى جاعوا وكسدت مهنهم وضاعت الفرص من بين أيديهم ، ويندر وجود بيت لم يفقد أحد أبنائه في عداد الشهداء أو السجناء ، ثم عصرتهم القسوة الأميركية التي فاقت وحشية الاجتياح المغولي ، ويليق أن نفهم عذرهم ومحنتهم ، وخصوصاً مع ما حصل لهم من شبهة حين أمعنت القاعدة في أذيتهم ولم تفهم المشاكل التي وقعوا فيها قسراً وبالرغم عنهم ، من مثل زيارة الضباط الأميركان لبعض المجالس المفتوحة لشيوخ العشائر ، وما كان بمقدور أحد من الشيوخ ردّهم ورفض دخولهم لمجلسه ، فكان أحدهم يضطر لاستقبال الضباط وقلبه يلعنهم ويتعوذ من الخطة السوداء التي أوقعته في الحرج ، والواجب أن نلتمس نحن لهم العذر ، وأن يبدل الجهاد خططه وأساليبه ، بحيث يكون ضرب الأرتال الأميركية بعيداً عن المناطق السكنية لئلا ينتقم الجيش الأميركي من أهلها ، وإذا فعل المجاهدون ذلك وأخذوا بهذا الاحتياط فإن ولاء الناس لهم سيعود بالتدريج ، وتعود زغاريد النساء المؤمنات كلما انطلقت قذيفة وصلية ،

والقضية متعلقة بفهم عراقي لطبيعة العلاقات في المجتمع العراقي وطبيعة النفوس العشائرية ، ولا يستطيع قاعدي عربي وافد من بلاد أخرى فهمها وتقديرها والتعامل معها ، وكم من مظلوم توجهت له التهمة الشنيعة بالخيانة وهو البريء المخلص المؤيد للجهاد .

إن قضية " الأمان " هي أهم قضية لدى الناس بعد الرهق الذي أتعبهم ، وحصول الأمن اليومي في حياتهم المعاشية وحركاتهم الضرورية هي أهم مكسب كسبوه من خلال الصحوات ، فصارت الناس تتسوق وترسل أبناءها إلى المدارس وتراجع المستشفيات وتتزاور وتسير في الشوارع بطولها دون انحناء وخوف واختفاء ، بينما كان كل ذلك ممنوعاً عليهم عندما اشتد الضرب الأميركي رداً على العمليات الجهادية ، وعندما استبدت القاعدة فأقلقت حياة عامة الناس وسلطت عليهم فتية صغاراً لا يحترمون الكبير والشريف ، ولا يعرفون معنى الورع والتقوى .

وهذه (معركة الفلوجة الثانية) تشهد لما نقول ، فإن العناصر القليلة الخبرة الجهادية سعت بحماسة نحو إثارة معركة داخل هذه المدينة البطلة التي صمدت أمام العدوان الأول عليها ، وكانت هذه الإثارة خطة خاطئة في الموازين العسكرية ، ونقلنا في حينها للمتهورين رأي كبار ضباط الجيش العراقي السابق بعدم قبول المعركة داخل الفلوجة وضرورة الخروج خارجها والالتفاف من وراء الجيش الأميركي المحاصر لها وتطويقه وضربه من الخلف ، مما يوافق تجربة حروب العصابات في كل العالم وملاحظات قادة حروب التحرير في الجزائر وفيتنام والصين واندونيسيا وأميركا الوسطى والجنوبية ، ولكن المجاهدين رفضوا النصيحة ، فحصلت النكبة التي راح ضحيتها من المدنيين أكثر من ألف ومائتين ، عدا التخريب والجروح والإجلاء ، ودفع الناس ضريبة كبرى ما كانت ضرورية ، ولم يقدم الجيش الأمريكي غير عشرات قليلة من القتلى فقط ، ولم تحصل فيه نكاية ، والمسؤول عن ذلك إنما هو سوء التقدير وضعف الخبرة التخطيطية وإهمال رأي المختصين والمجربين ، وقد تراكمت دروس أخرى صغيرة مع هذا الدرس الكبير ونشأت أحاسيس التبرم لدى الناس شيئاً فشيئاً حتى

تولدت بيئة أنتجت الصحوات التي اختلط الحق فيها بالباطل ، وزاحم النفعي فيها الصادق .

● والوقفة النقدية الثانية التي تلزم المقاومة العراقية الآن : وقفة التقدير السياسي الواعي ، والانتباه التام تجاه المكائد التوريطية التي تتقدم بها دول عربية وإسلامية تزعم أن الجهاد قد استنفد أغراضه ووصل إلى أهدافه ، وأنه قد آن الأوان لاستثمار ذلك سياسياً ، وبدء المفاوضات مع أميركا التي تطلب ذلك وتكلف هذه الدول بالوساطة ، وكل ذلك كذب وغش واحتيال وتلاعب بعواطف المجاهدين من خلال أموال يتقدمون بها للمجاهدين بين يدي خطتهم الزائفة ، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ : **إن بعض سوء الظن حزم** ، أي في المواطن التي يدل العقل دلالة واضحة على ثعالبية الواعظ الناصح ، وتاريخه القديم والمعاصر في التعاون مع الرغبات الأميركية وخطط العولمة ، وذلك أن الجهاد لم يستنفذ أغراضه ولم يحقق بعد أهدافه ، وإنما تتحقق يوم يعلن البيت الأبيض على لسان رئيسه في وثيقة مختومة يبعث بها إلى الأمم المتحدة أنه قرر الانسحاب ووضع جدولاً لانسحابه ، فحينئذ فقط يكون التفاوض ، وأما قبل ذلك فالأمر مشبوه وفيه ريبة وغموض ومناورة والتفاف على الجهاد وتخدير للهمم وتوهيم بحصول النصر ، وتبدأ معه خطط الراحة ، إذ الاستعمار جاثم على العراق جثمة ثقيلة الأثر والوطأة ، ويحاول ترتيب أمنه المستقبلي من خلال قواعد دائمة يحشد فيها قواته وأسلحته ، ومعاهدة طويلة الأمد حوت كل الامتيازات التي يريدها .

● و " **المجلس السياسي للمقاومة العراقية** " الذي يمثل أكثر المنظمات الجهادية نفوذاً في الساحة وأثراً ونكاية في العدو ، وهي : الجيش الإسلامي ، وجامع ، وحماس العراق ، والهيئة الشرعية لأنصار السُنّة : هذا المجلس مدعو مباشرة لتمييز طبيعة الوساطات التي تغريه بالتفاوض وما فيها من سلبيات ، والوضع يتطلب علاج الناس بعلاج نفسي متدرج يُرجعهم بعد الجفلة إلى الروح الجهادية ، والجهاد الآن في أصعب أيامه وأكثرها حساسية وحرجاً ، وليس هذا هو الوقت التفاوضي أبداً ، بل من أصول التفاوض أن تجلس إلى العدو أنت

وقواتك ونيرانك وضغطك في أقصى الدرجات وأعنف الزخم الحراري وأعتى الاندفاع والإثخان ، ليكون مركز المفاوض الجهادي قوياً ويتحقق التهديد الجاد بالمواصلة إن أراد العدو التملص والمراوغة والمماطلة ، وأما أن يذهب وفد التفاوض الجهادي وضوضاء الرمي خافتة والنار هادئة والتكبيرات تعكّر عليها غصة وشرقة وبحّة : فهو حال يستدعي النظر وإعادة الدراسة وتفضيل التلكؤ وزيادة الفحص ، لأن التفاوض خطة استراتيجية فاصلة وليست هازلة ، وله تأثيرات وانعكاسات نفسية في قلوب القادة والمجاهدين وعموم الأمة الإسلامية ، وقد تتأسس سلبيات معنوية تأسر المجاهدين عن استئناف الانطلاق والهجوم إذا فشلت المفاوضات ، والأمر اليوم غامض ومبهم ، ولا يستطيع المجلس السياسي الجزم الواثق بأن التفاوض صحيح في هذا الوقت وإن كان صحيحاً كمبدأ وكعرف سياسي ، وبخاصة أن صف الجهاد لا تمثله منظمة واحدة ، وإنما هو حلف تعاوني تنسيقي بين منظمات عديدة ، والخشية في أن يخرق الإجماع أحد فتكون الصورة مشوشة ، والناس لا تقول لواحد يخرج عن استقامة الصف أنه خارج ، بل يصفون الصف بأنه أعوج ، وذلك يُلزم جمع المجاهدين بالتأني والحذر التام ، فإن التفاوض قد يكون مدخلاً لا مخرج منه ، بل هو مسدود الطريق ، ويصح فيه الإبرام فقط ، وأما النقض فهو فادح الضريبة ، ويروي وزير الخارجية المصرية الأسبق أن السادات حين ذهب إلى واشنطن وكامب ديفيد لمباحثات السلام كان يريد المناورة واستقر ذهنه على الرجوع بلا توقيع ، فهدده كارتر تهديداً صريحاً وقال له: ما استدعيناك لتماطل وتفرض شروطك ، ولا نسمح لك بالرجوع بلا توقيع ، فاضطر لتوقيع معاهدة كامب ديفيد ، وكان يظن أنه يستطيع إنجاز شيء أفضل منها ، ولكن موقفه الضعيف وقوة أميركا جعلته يذعن ويلبس القميص الذي فصّله له البيت الأبيض .. !

● إن الفراسة التي يملكها جمهور من المؤمنين اليوم وأنصار الجهاد توحي لهم وحياً صريحاً واضحاً بأن القنبلة الصوتية التفاوضية الفارغة التي أطلقتها بعض الدول العربية والإسلامية الدائرة في الفلك الأميركي : إنما يراد منها في هذا الوقت وقبل

نضوج الجهاد وبلوغ النهاية أن يتنافس المجاهدون في "**الإرث السياسي**" واقتسامه بدل التنافس في الضرب وقتال المحتل .

هذا هو العنوان الحقيقي للقضية ، وبعض قادة الجهاد بحاجة إلى وعي سياسي أكثر ليدركوا هذه الأبعاد الخفية ، فإنه يراد لهم نوع سباق نحو الوزارات والمناصب بدل سباق نحو الجنّة هُم فيه الآن ، وغاية ما ستكون العطايا : أن تضغط بأن تـُمنح المنظمات الجهادية بعض الوزارات والإدارات العليا للمؤسسات الكبيرة ، وبعض التمكين في السفارات والمحافظات ، ثم على الدنيا السلام ، وأما تحرير العراق وجلاء المستعمر ووحدة العراق المهدّد بالتقسيم وقيادات الجيش وقوات وزارة الداخلية : فهي أحاديث محرمة ، وعفا الله عما سلف من الجانبين ، والتعويضات المالية من وارد النفط العراقي ممكنة بل وتكون بإغداق ، ويسلم رأس بوش وأوباما وكونداليزا ، ويتم إطلاق أسماء بعض الشهداء على بعض الشوارع ، وتوقيع بيان المصالحة الوطنية تحت رايات المعاهدة الأمنية وسطوة الطائفية والنفوذ الإيراني والوصاية الأميركية .

وتلك هي القسمة الضيزى التي يدركها القلب الحي والعقل الذي ألقى السمع وهو شهيد ، ولذلك فإن المجلس السياسي مدعو للانتباه والفحص عما وراء ظاهر الوساطات ، والمؤمن لا يخدعه خبّ وعميل ، وعلى المجاهد الثابت إسناد المجاهد المنهار ، وعلى المستقر الرافل بامتيازات العلم الشرعي والوعي السياسي تربية القلق الساذج وفتح عينه وتعليمه المنطق والقياس واستنباط الخفايا ومقابلة الأشباه والنظائر لاستخراج القواعد وملاحظة الفروق ، وليس من عيبٍ أن يطلب قليل العلم رأي المفتي ، ولا في أن ينتظر المستجد حكمة المجرب القديم ، والصحبة نجدة وكرم في الرأي كما أنها أمانة ووفاء ، والمليء يغدق على المحتاج ، وفي الآفاق غبار وعجاج وعواصف رملية دهنائية ورياح خمسينية وضباب خليجي وغبش بين الأسود والأبيض ، والله يعصم ويوفق المجاهد التقي لما يحبه ويرضاه .

● إن هذه الدول الاستعمارية لها تجارب في التعامل مع الثورات تقتفيها ، وتملك الكثير من الدراسات النفسية والاجتماعية ، وهي تعلم أن مجرد إلقاء المجاهد لسلاحه والجلوس إلى وفد التفاوض الاستعماري ، أو حتى إبطاء وتيرة الضرب وقبول التفاوض : لهما تأثير نفسي سلبي على الاندفاعة الجهادية ، وتبدأ مع أول المفاوضة أنواع من الوسوسة ، ويتحول المقاتل من العنفوان والإصرار والتحرش إلى شيء من الحسابات المستقبلية التي تمنحه الراحة بعد التعب ، والعنوان والمنصب ، وبعض المال الذي يعوض به صبر أهله وعياله على الفقر حين شغلته البندقية عن طلب الرزق الأوفر وحرمته الظروف الأمنية من حرية الحركة ، ثم يبدأ المفاوض يسمّى له الجهاد عاطفة وحماسةً والتفاوض عقلانية ومنطقاً وحكمة ووعياً ورُشداً ، وبالتدريج تتميع القضية الجهادية وتنشأ أحاسيس دنيوية بعد التجرّد والعصامية ، ويطرأ البرود بعد الفورة ، وربما يحصل ما هو أكبر من ذلك ، من التنافس مع أقرانه على اقتسام الرغيف ، وكل منظمة تزعم أنها كانت الأقوى أثراً وينبغي أن يكون لها النصيب الأكبر ، ولربما ينفرط الحلف ويكون التعامل مع العدو كمتسابقين متفرقين بدل أن يكون الجمع الواحد ، ويحاول العدو بعدها أن يرسل مندوبي الفضائيات الذين يرتبطون به لتحصيل تصريحات مختلفة من ممثلي كل فصيل بدل تصريح الناطق الرسمي ، فتكون الفوضى الإعلامية واختلافات الأقوال من أسباب زيادة تفرّق الصفوف الجهادية ، وكل ذلك يمكن أن يحدث عندما تخطأ الجهة القيادية الجهادية في تقدير الوقت المناسب للتفاوض وتقبله قبل إعلان صريح من العدو وفق قواعد القانون الدولي يبدي فيها استعداده للانسحاب ، فالمفاوضات في نفسها ليست من الخطأ ، بل هي مرحلة مفترضة في السياق ، ولكن التوقيت الخاطئ هو الذي يؤدي إلى هذه السلبيات ويحوّل الممارسة السياسية إلى مهلكة ، وبعد أن ردّدت الملائكة صيحة : يا خيل الله اركبي ، فتكون القعقعة واللمعات : سينادي الشيطان أن : يا خيل الدنيا تسابقي ، فيكون الصفير وتنتشر الظلمات .

ومن الأهمية بمكان أن ينتبه رجال الفصائل إلى أن المبعوث الذي يكلمهم نيابة عن دولته العربية ويزين لهم التفاوض في غير وقته الصحيح هو غير مؤتمن أن يكون مستشاراً للجهاد ... !

شتّان بين مجاهدٍ ومخادعٍ
هيهات تهزم أسدنا الجبناءُ
لا شيء ينقذنا سوى قرآننا
فلتسقط الأصنام والزعماءُ
يا إخوة الإيمان قد حان الفدى
أنتم إذا جدّ الوغى أكفاءُ

فالنائحة المستأجرة غير الثكلى ، وشتان بينهما ، والتقدير السياسي صنعة ذاتية تنبع من أعماق قلب المجاهد ولا يؤديها بالوكالة عنه مخلص قاعد متثاقل إلى الأرض لم يعرف من قبل نفرة الجهاد ، فضلاً عن أن يقدمها مشبوه مزدوج الولاء ، فضلاً أن يزعمها أحد أطالت كفُّه مسك السوط قبل امتدادها لمصافحة المجاهد .

من شاوَرَ العُطْلَ لا يلقى سوى عَنَتٍ
في ذا الزمان ، وجُل القومِ عطلانُ
حاشا الأخوّة في الإسلام يحفظها
عند الشدائد أصحابٌ وخُلاّنُ
فاستخلص الصفو منهم واتخذ مثلاً
أهل الصلاح ومن في الضيق إخوانُ
إني خبير بهم من بعد تجربةٍ
في الطيب طيبٌ ، وفي الإحسان إحسانُ
ظلّوا على العهد ما خانوا أمانتهم
شعارهم في الورى : سيفٌ وقرآنُ

باعوا النفوس رخيصات وما فتئوا

حرباً على الظلم والطغيان ما لانوا

الله ينصر من يدعو لنُصرته

من ينصر اللهَ لا تغلبه صُلبانُ

صلبان بوش حين صدق في الإفصاح عن مخبوئه وهو الكذوب ، فقال : غزو العراق امتداد للحروب الصليبية ، وكانت زلّة لسان منه أبانت الطبيعة الحقيقية للعولمة وخطط البيت الأسود .. ! ومن استذكار هذه الدروس صاغ المجاهدون قاعدتهم الذهبية ، ورسخت عقيدتهم التي أيدت صوابها الأيام : أنه " **من بين الشرارات تكون المشاورات** " .

● والوقفة المهمة الثالثة في الدراسة الاستدراكية الناقدة للأحوال الجهادية العراقية : تتمثل في ضرورة وضع صيغة جديدة للعقيـدة القتالية في ممارسة الجهاد ، و" العقيدة القتالية " اصطلاح عسكري شائع أصيل يعني بإيجاز : طرائق القتال التي يتبعها جيش من الجيوش ، وخططه في التركيز على أساليب معينة ، وتفضيله المجابهة مثلاً أو الالتفاف ، والاعتماد على الالتحام أم الرمي من بعيد ، وتعمّد الحسم السريع أم الاستنزاف البطيء ، وكل ذلك صائب في التخطيط الحربي ، وقد تجمع الخطة كل الأساليب والبدائل ، ولكن الثقافة العسكرية تتعلق بطبائع الشعوب وتواريخ الأمم ، وجعلت العملية القيادية تتوزع على عدة مذاهب ومدارس ولكل منها تجربته ومنطقه ، والقناعات الاستراتيجية في ذلك هي الأصل المركزي ، والأساليب فروع تتغير .

● وعملية تحليلية بسيطة للساحة العراقية تبدي حصول تبدلات كبيرة ، فالجيش الأميركي بدأ يقلل دورياته وينسحب إلى القواعد البعيدة وينيب القوات المسلحة العراقية عنه ، والفجوة التكنولوجية زادت مع الأيام واستطاع العدو إدخال مخترعات جديدة ، مثل أجهزة الذبذبات التي تفجر صواعق العبوات ، وطائرات الاستطلاع الصغيرة بدون طيار ، وصارت الرقابة أعتى ، ونجح العدو

في التعتيم الإعلامي ومنع الفضائيات من نشر أخبار الجهاد ، وتحولت أكثر الدول العربية إلى التعاون مع الأميركان ومنع المجاهدين من دخولها والتضييق على الهجرة واعتقال المتبرعين من أهلها بالمال الساند للجهاد ، ثم أصبحت البيئة العراقية الحاضنة للجهاد سلبية تجاه المجاهدين متضايقة من وجودهم بسبب فداحة العقوبة ، في متغيرات أخرى حصل استعراضها في كلامنا السابق .

وتغيرات كهذه توجب تغييراً في العقيدة القتالية والأساليب ، ونوعاً من المرونة في التخطيط ، وابتكار طرائق جديدة ، أو تبديل الأولويات والتربيات ، وكل ذلك سائغ ، ولا قُدسية لخطة .

كذلك هو طريق الشعوب في طلب الحرية ، وتاريخ الإسلام كله تاريخ تضحيات وجهاد وصبر على اللأواء والبلايا ، واليُسر يعقب العسر ، والفقه يوجب التقدم بنفوس راضية ، والاستعمار قدر من أقدار الشر ندفعه بقدر الخير الجهادي ، والنصر الرباني يتنزل حين يضع الأحرار أرواحهم على أكفهم ويستعدون لمنحها في سبيل الله إذا احتاجتها المعركة ، بلا ثمن ولا شرط ، بل هبة محضة تعود إلى خالقها ، وهذا الفهم هو المروي عندنا بالسَنَد العالي الشريف ، مجاهداً عن مجاهد ، وفي سلسلته الأبطال ، صُعداً إلى صلاح الدين الأيوبي ، ثم صعداً إلى رجال الفتوح ، وإلى شهداء بدر وأُحُد ، ومشكلتنا سوف تكون في ضبط سباق المتنافسين نحو الجنة وتعليمهم الانتظار وأخذ الدور وترتيب التتابع ، بل النبضات نسمعها بوضوح في قلوب تفور ... !

- أن تكذيب سمعة رامبو الذي لا يمكن قهره شيء واجب ، وهذا التفكير لا يتاح لبدوي ولا لشباب أحداث ، وإنما تتمكن منه العقول الكبيرة ويحتاج نوعاً من الخيال .

- وأنا اقترح أن يجري التعاهد والتبايع وحلف الأيمان المغلظة بين مجاهدي كل فصيل جهادي على أنّ الأيام إن فرّقتهم واستُشهد قادتُهم أو تم اعتقالهم فإن الواحد منهم سيبقى على العهد ويواصل الجهاد فردياً .

● ولتعلم القيادات أن أية هجرة اضطرارية إلى الخارج يتطلبها الأمن الجهادي من شأنها إضعاف السيطرة على منظماتهم ونشوء سلبيات عديدة ، فليس الجيل الثاني مثل الجيل المؤسّس الذي طالت معاناته وفجّرت الظروف إبداعه ، ولذلك تلزمهم رقابة وفحص وتربية وموعظة للخلفاء ، وقد يفتق المتهورون فتوقاً ، أو يستجيز الليّنون الترخص ونقض العزائم ، والحاجة إلى الفقه الدقيق عند الاستخلاف ليست بأقل من الحاجة للفقه عند الأداء ، والورع لازم ، والمتابعة واجبة ، وتولية الأمثل أمانة ، واشتراط وفور العقل في الأمراء أصل ، مع التقوى ومخافة الله والحرص على الوحدة ونبذ الخلاف ، والتجمل بالشورى احتياط وسبب إنتاج .

● وليوقن القادة والأتباع معاً أن محنة العراق غريبة جداً ولا يفهمها غير العراقي تمام الفهم إلاّ إذا عاش داخل العراق بعد الاحتلال ، وإن العقدة ليست في وجود الاستعمار فقط ، بل في النفوذ الإيراني الذي نشا وتضخم تحت جناحه وفي رعايته ، وتمثله المخابرات الإيرانية وتنظيمات حزب الدعوة وحزب المجلس الأعلى وفيلق بدر وجيش المهدي وجميع المليشيات الطائفية التي تسلحها وتدربها وتمولها إيران ، مع منظومة وسلسلة طويلة من جمعيات المجتمع المدني والمؤسسات ، مع اختراقات حققتها المخابرات الإيرانية في صفوف القاعدة ، ثم عاد فتضاعف هذا النفوذ الإيراني من خلال السيطرة الطائفية على الحكومة والوزارات والقوات المسلحة ، وصارت الدولة أثلاثاً تحت سطوة ثلاثة أشخاص : السفير الأميركي ، ورئيس الوزراء ، والسفير الإيراني الذي تمتد يده نحو الشمال أيضاً من خلال تحالفات قديمة مع رئيس الجمهورية الطالباني من يوم احتوته إيران أيام صدام حسين ومنحته السلاح والأموال ، ولا زال مأسوراً إلى ذاك الصنيع ولا يستطيع الفكاك ...!

وأما ضرب المالكي لجيش المهدي فهو صراع بين مراكز القوى في البيت الشيعي الواحد ، والخلاف الأمريكي مع إيران محصور في قضية التطوير النووي الذي أقلق إسرائيل ، أما فيما عدا ذلك فإن أميركا مستفيدة من إطلاقها يد إيران

في العراق ، لأنها الأقدر على ضرب المحاضن الجهادية السُنيّة ، والأبرع في اختراق القاعدة وحرفها في طريقة عملها وتوجيه أسلحتها إلى فصائل الجهاد ودعاة الإسلام وأعيان الناس والعلماء وشيوخ العشائر ، وقد أنجزت المخابرات الإيرانية في ظل هذا التعاون مع المستعمر اغتيال ألف من الطيارين وكبار ضباط الجيش العراقي السابق ، وألف عقلية علمية واعدة من أساتذة الجامعات وخبراء التنمية ، مع اغتيال عدد كبير من التجار الثقات وإتلاف أموالهم ، والمخابرات الإيرانية لها دور علنية في البصرة ومدن الجنوب يرتفع فوقها العلم الإيراني ، وحقل مجنون النفطي العراقي الذي هو أغنى حقل في العالم قدمته أميركا هدية وقتية منذ سنوات ثلاث لإيران تستخرج منه النفط وتبيعه كيف تشاء ، وتم تمكين الأحزاب الطائفية ومليشياتها من فتح ألف وخمسمائة فتحة غير قانونية في أنابيب النفط العراقية في الجنوب تسرق منها النفط بصورة مباشرة وتبيعه عبر إيران وتمول نفسها وقادتها من وارده ، ثم يأتي رجال لهم الظاهر وتأسرهم الحملات الكلامية الهجومية لرئيس جمهورية إيران على أميركا فيعتقدون وجود عداء عميق بين الطرفين ، والتعاون في أرض العراق يجري كأوسع ما يكون ، وما هي إلاّ عداوة محدودة في أمر المفاعل النووي ، وستبقى أميركا لا تسمح لنفسها ولا للمالكي أن يكون هناك محق وتدمير كامل لجيش المهدي والمليشيات الأخرى ، لأنها الأقدر على ضرب المحضن السُنّي للجهاد العراقي ، وقد تحتاجهم في المستقبل مرة أخرى إذا عاد الجهاد إلى الانتعاش وتم فتح صفحة ثانية منه بتخطيط جديد واستراتيجية مستأنفة تستفيد من مجمل التطورات الحاصلة ، وبخاصة إذا رجع الجيش الإسلامي إلى سابق عهده من القوة والحيوية والضرب الموفق، لأن الذي آذاه وأقلقه إنما هي القاعدة ، ثم انشغل بالدفاع عن نفسه ، وتداخلت دفاعاته مع أعمال الصحوات ، فلما ضمرت القاعدة انفتح مجال لعودة الجيش الإسلامي ، وعودته مهمة وضرورية لمجمل العملية الجهادية ، وهي تعني التوازن الجهادي ، والتكامل مع أداء منظمة " **جامع** " .

❑ ضرورة التكامل بين الجهادين القتالي والسياسي

□ وإذا عادت الحيوية إلى الفصائل الجهادية من خلال تطوير أساليبها ، وأتقنت التعامل الحكيم مع الصحوات واستوعبت أسباب ضجر الناس والتمست لهم العذر : فإنها تكون مدعوة لتطوير أدائها السياسي ، وتفعيل وسائل الضغط على الجيش الاستعماري والحكومة العراقية الموالية له ، وصياغة شعارات تثقيف للناس تحلّل الأوضاع وتعين الناس على التعامل الواعي مع الظاهرة الاستعمارية وقضية العولمة والتوغل الإيراني في الحياة العراقية .

● وأخطر ما هنالك مما يهدد مستقبل العراق والمنطقة : المعاهدة الدائمة التي منحت أميركا حقوق البقاء العسكري في قواعد خاصة ، مع احتكار النفط ، وتفويضها تبديل الثقافة العراقية والتربية والعمل الإعلامي بما يوافق فلسفتها المادية المتعارضة مع الإسلام ، ويتفرع عن ذلك الاعتراف بإسرائيل والصلح معها والتطبيع وتطبيق خطة السوق الشرق أوسطية التي تتيح التفوق الاقتصادي الإسرائيلي على اقتصاد جميع دول المنطقة .

ولذلك لا بُد أن تنظم الفصائل الجهادية في المجلس السياسي للمقاومة مجموعات عمل سياسي تدير عملية الضغط لإسقاط المعاهدة ، لأنها معاهدة جائرة مليئة بالسلبيات ، تحولت بالاستعمار الأميركي من كونه يفتقد السند القانوني إلى استعمار معترف به في القانون الدولي وأنظمة الأمم المتحدة ، ويمكن للمجلس السياسي للمقاومة أن يكون محور التنسيق بين مجموعات العمل هذه ، وأن يشجعها على إصدار بيانات سياسية مشتركة ، ويتيح لها تصعيد الوتيرة الإعلامية ، وفضح الخطط الأميركية ، وإرجاع الذاكرة العراقية إلى ما فعله الجيش الاستعماري من تخريب للبُنية التحتية العراقية ، وتمزيق الوحدة الاجتماعية ، وتشجيع الميليشيات ، وانتهاك حقوق الإنسان ، وكثرة الاعتقال والقتل ، وممارسة أشنع أنواع التعذيب بالكهرباء والوسائل الدنيئة ، وتسبيب الأمراض النفسية للأطفال والصغار وعموم الشعب

وبذر الرعب من خلال المشاركة الخفية في تفجير السيارات المفخخة ومظاهر الدوريات ونقاط التفتيش .

● ولكن الموعظة العامة التي يوجهها الحكماء دوماً إلى أهل الممارسة السياسية تتوجه لهذه المجاميع السياسية ، من تمام التجرد ، ولزوم التدين ، وتكثيف الصلة بالقرآن ، والخروج من حظوظ النفس ، والزهد ببهرج الدنيا والسمعة ولمعة المنصب وإغراء المال ، والميل إلى التواضع ، وتفضيل الدار الآخرة ، والوكالة عن الفقراء والمستضعفين والمظلومين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقتفاء سنن النبي ﷺ ، وتصحيح العقائد ، والبعد عن البدع ، وعدم الثقة بمبتدع ، وهذه الوصايا توجه للمقاتل أيضاً ، وهي من الأدب الإسلامي الإيماني العام ، وأهمها : استمرار النقاء ، والحذر من التلوث ، واستمرار حياة القلب ، لأنهم يعملون في محيط قذر ، والضرورات تفرض عليهم الاختلاط بالمشبوهين وطلاب الدنيا والخونة وعتاة الفساد الإداري والأخلاقي ، والقلب الحي يعرف طريقه في يوم الشبهات جيداً ، ويميز صفة التقوى وحدودها.

● والمظنون أن مجاميع العمل السياسي بإمكانها المساعدة في تكوين تيار سياسي مدني كردي رافض للعولمة ولسياسة الأحزاب الكردية ، وهو تيار يستند إلى مشاعر واعية نمت بالتدريج في أوساط عقلاء الأكراد الذين وإن قصرت هممهم عن حمل السلاح الجهادي إلاّ أنهم أدركوا خطر الجرائم الأميركية والطرائق الاستعمارية ، واشمأزوا من الخيانة والمبالغة في الولاء للمستعمر ، والأخبار في وجود هذه الطبقة الكردية العقلانية مستفيضة .

● كما أن رفض إيران للمعاهدة يشكل ظرفاً مساعداً لنا لإسقاطها ، والسبب الذي يجفل إيران هو تقنين الوجود الأميركي بجوار حدودها إلى أمد طويل لا تعرف ما تتطور إليه الأمور خلاله ، وذلك يمنع خطط التوسع الإيرانية وطمعها في ضم جنوب العراق إليها بعد انفصاله في مرحلة لاحقة ، كما أن المعاهدة ستؤدي إلى استقرار نسبي للحياة العراقية ، وتريد إيران استمرار الفوضى التي تمكنها من الاختراق والنفوذ والتدخل المباشر دون رقيب أو حسيب ، وأقل مكاسبها من

الفوضى أن تطيل استثمارها لحقل نفط مجنون الغني الوافر الإنتاج ، فلكل هذه الأسباب ترفض إيران المعاهدة ، مما يشكل ظرفاً مساعداً للجهد السياسي للمقاومة الجهادية في تحقيق إسقاطها ، ثم للسلبيات الإيرانية طرائق أخرى للعلاج .

● ويراد لهذه المجموعات السياسية أن تطغى على عناصر ضعيفة الأثر في ساحة العراق هاجرت وأقذعت وابتعدت عن الصواب والموزونية ، وسلكت طريق صناعة سمعة إعلامية لها لا توازيها حقيقة قتالية مكافئة ، واستثمرت قلة اطلاع غير العراقيين على حقائق الساحة العراقية ، فلمعت أسماء جلبت انتباه الناس خارج العراق إذ قادة الجهاد الحقيقي يبذلون بصمت ، وصارت أموال التبرعات تذهب إلى الأسماء اللامعة ويحرم منها المجاهد الثقيل الوزن ، وحصل تسلّق ليس فيه إنصاف .

● وهناك سبب آخر يعظ ويقودنا إلى تكوين عمل سياسي جهادي ، وذلك أن الصحوات وبتكوينها العشائري بدأت مرحلة ثانية في عملها تتمثل في إنشاء واجهات سياسية لها تنزل بها إلى الانتخابات وتحاول امتلاك النصيب الأكبر في مجالس المحافظات التي منحها الدستور أوسع الصلاحيات ومكنة التصرف بالأموال ، وهذا أسلوب يزيد تفرّق الساحة السُنية التي هي متفرقة أصلاً ، ويجعل لغير أهل الفكر والثقافة والقدرة التنموية سلطة أكبر ، بينما وجود الفكر والقدرة التخطيطية لدى المجموعات السياسية التي تفرزها المنظمات الجهادية الكبيرة يجعلها أقرب إلى تحقيق مصالح الناس ، والرقابة ، وهدر المنافع الفردية ، والصرف المالي الواعي في زمن الفوضى والاضطراب وتشجيع المستعمر للسرقات والفساد الإداري ، وهو يتعمد شراء الذمم عن طريق إرساء العقود التمويهية وبأسعار خيالية ، ليستميل طبقة من الناس توالية وتجد أن مصالحها مرتبطة باستمرار الاستعمار ، ورجال السياسة من المجاهدين أقدر بدون شك على أداء المهمة ، وأبعد عن الحسابات الخاصة والعائليات والعشائريات .

❑ يبقى الجهاد في سبيل الله : أسمى أمانينا

□ أما بعد : فهذه لوعات كبد يعاني جثمة الاستعمار وهجمة الشعوبية ، وملاذه الصبر والتوكل على الله تعالى ، وأمله أن يبصر المجاهدون الحقائق بعين الوعي وعلى سنن الإنصاف .. وما زلت ...

أحسّ بأنني تعبٌ مُعَنّى
وما بي علة إلاّ اشتياقُ
وإن الوصل يشفي كل داءٍ
ودائي والدواء .. هو العراقُ

وهذه هي الخلاصة والحقيقة ، فنحن عُشاق العراق ، والجهاد غرامُنا ، وقد أحسن الله بنا ، فيسّر لنا الاستمتاع بأبيات شاعر عُبيدي من أهل حديثة أطربنا بهذه المقاطع الشعرية الواردة في هذه الرسالة ، والحق أبلج ، والقلوب النجيبة الطاهرة من الحسد والأنانية والنفعية تدركه وتعرفه وتعتصم به ، وأرواح الشهداء والأبرار شهيدة علينا ، الآن ويوم القيامة ، وقد خاب من حمل لإخوانه المجاهدين ضغينة وظلماً ، وفي وحدة الصف والصيحة قوة ، وعند البراءة من الرياء والاحتكار يقترب النصر ، والله غالب على أمره ، ولكن الرئيس الأميركي لا يعلم ، والدنيوي لا يفهم .

● وفي ردود الفعل الأولية التي بلغتني بعد نشر كتاب (نقض المنطق السلمي) أن بعض مَن يعتقد صواب التوقيع على المعاهدة بدأ يزعم أن الراشد استعجل ، وأن المعاهدة تحوي بنداً فيه جدولة انسحاب القوات الأميركية ، وأن آخر جندي سينسحب قبل نهاية سنة ٢٠١١ .

والفتوى التي أصدرتـُها حول المعاهدة تبين بالمنطق والحجج خطأ التعويل على هذا النص الذي يذكر الانسحاب ، وأنه لا يغير صفة السوء التي في المعاهدة ، لأنه قاصر عن درجة الإبرام ، لإمكان مزاحمته بطلب من الحكومة بتمديد بقاء الجيش

الأميركي ، ولأن الجيش الاستعماري سيستمر في ضرب المجاهدين ولن تنتهي الحرب ، وذلك ينفي صفة " جدولة الانسحاب " عن هذه الفذلكة التي هي مجرد خدعة .

● ولكل داعية أن يطالب دعاة التوقيع بردود موضوعية منطقية ، وأما الردود الشكلية فمهدورة ، ولا قيمة لها ، ومنها القول بأني أتكلم من الخارج ، أو أن المالكي وعدهم خيراً ، فإن النصوص القانونية هي التي تتكلم ، وفيها الفحوى ، لا الوعود ، وأنا إنما أشرح نص وثيقة جرى عليها التفاوض ولم يعترض أحد على فقرة وجود القواعد وحرية الجيش والاستعماري في الخروج منها لمحاربة المجاهدين والقاعدة ، لا المالكي ولا رجال العملية السياسية الإسلامية ، وإنما انصبت اعتراضاتهم على قضايا فرعية ثانوية أخرى ، وربما كان المالكي يرى جدولة الانسحاب ، من باب خدمة الأغراض الإيرانية مع إرضاء السيستاني الذي هو بدوره ينطلق من رؤية إيرانية ، وأنا أتحاكم إلى نصوص لا إلى تمنيات ، وتعويل رجال العملية السياسية على مجرد التمنيات خطأ، ولم نسمع منهم إنكاراً على القواعد ، بل اعترضوا على حصانة الجندي الأميركي فقط .

● ومن خلال " **صناعة الجهاد** " تعود الحقوق ، وتسقط المعاهدة ، وتتحرك الحياة ، وفي كل المنظمات الجهادية بركة ، وجميع المجاهدين ثقات ❑❑❑

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى بتحريم التوقيع على المعاهدة العراقية الأميركية

❑❑ الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين ...

● أما بعد : فقد زاد سؤال الناس عن حكم الشرع في المعاهدة الأمنية بين العراق وأميركا ، وقد كانت المعاهدة في صيغتها الأولى التي بينتُ خطرها في كتابي " **نقض المنطق السلمي** " : واضحة الخطل ، صريحة في صفتها العدوانية ، وأدرك الناس بالفطرة وجوه ضررها ، فعارضوها ، فكان من القائمين عليها اللجوء إلى طريق التفافي ، بأن أضافوا لها شرط الانسحاب الأميركي قبل نهاية سنة ٢٠١١ ، وسبب ذلك أنهم حين عرفوا معارضة أكثر الشعب العراقي وأمة الإسلام في كل الأقطار : مالوا إلى تجميل المعاهدة وتحلية هيكلها بهذا الشرط الذي في ظاهره الشجاعة وتحصيل الاستقلال ، وباطنه خواء .

□ وهما أمران يقوم عليهما منطق رفض الاتفاقية حتى لو تضمنت شرط الانسحاب الأميركي :

● الأمر الأول : أن هذا الانسحاب ما هو بجازم ، ولا هو بأمر مُبرَم ، بل يُمكن نقضه والاستدراك عليه بأن تطلب الحكومة العراقية من القوات الأميركية البقاء وتجدّد لها الإذن مدة عشر سنوات ، فتخرج من الباب وتدخل من الشُبّاك ، ذهاباً مع فتوى المرأة الحائرة التي أحرجها زوجها بيمين الطلاق أنها إن خرجت من الباب فلن تدخل منه ثانية ، فسهّل المفتي أمرها بإدخالها من النافذة .. أو صاحب المال المتمرد على الشرع ، الذي يهب أمواله قبل نهاية الحول عليه إلى زوجته ، ثم تهبه إليه ثانية، ليتهرب من دفع الزكاة ، وهذا هو فقه الحِيَل ، وهو فقه الذين أصاب إيمانهم الضمورُ وتقلّصت تقواهم فأصبحوا يتعاملون مع الله بالمخادعة ، ومع الناس بالظلم ، واتبعوا منهجية الشرود والغش وارتكاب الزيف

والميلان عن سعة الطريق المستقيم السالك إلى الغموض والأزقة الضيقة والدروب المسدودة .. وما الضامن لموقفٍ حازمٍ من الحكومة وهي ستستمر من خلال إسناد المستعمرين لها بنفس تركيبتها الحالية ومرجعيتها الطائفية والانفصالية وبما لها من ولاء معروف لأميركا وسَلفت منها سابقة الذهاب إلى البيت الأبيض ودعوته لاحتلال العراق ؟ فصاحب السياسة الأولى يعيدها ثانية وثالثة ، والحياء والولاء الإيماني نقطة في الجبين إذا سقطت فلن ترجع ، والظن بهم ظن سيء ، وأنهم يسوسون العراق على طريقة المخادعة وبمنهج التحايل والذهاب خطوات أخرى في إرهاق الشعب نفسياً وإخضاعه من خلال استعمال إرهاب السلطة .

ومن هنا : فإنّ الذي يترجح عندي أن هذا النص على الانسحاب في الاتفاقية إنما هو لامتصاص الرفض الشعبي والإقليمي والعربي والإسلامي والعالمي ، وأن مفعوله موقت فقط ، وستسارع الحكومة العراقية الموالية للمستعمر بعد استتباب الأمر لها بطلب بقاء القوات الأميركية لعشر سنوات أخرى ، والتكوين النفسي للطالباني رئيس الجمهورية وللمالكي رئيس الوزراء يحتمل ذلك ويجعله ممكناً جداً ، وفكرهم السياسي فيه من جوانب اللين والمصلحية وتسويغ التبعية لأميركا الشيء الكبير ، والسوابق تشهد ، والانتفاعات الحزبية والشخصية التي بدرت منهم مراراً تجيز لنا اعتقاد أسوأ التفسيرين للأمر وأردأ الظنين ، والتهمة الآن هي الغالبة ، بقرينة التاريخ القريب ، وهما يزعمان اليوم بطولة ملحمة وهمية عنوانها انسحاب لا يتمنيانه .

● والأمر الثاني : يتعلق بما يكون من سلوك الجيش الأميركي بين التوقيع وإلى يوم المغادرة بعد سنوات ثلاث : من استمراره في محاربة المجاهدين والخروج من القواعد العسكرية الممنوحة له مستعيناً بالقوات العراقية ليعيث في الأرض فساداً، في العراق ، وربما في بلاد أخرى ، فإن المادة الرابعة من المعاهدة تجيز له ذلك وتمنحه هذا الحق داخل العراق بصراحة وخارج العراق بالسكوت ، وفي قواعد

الفقه والقانون أن السكوت في معرض الحاجة بيان وموافقة وإذن وتجويز ... وعلى ذلك فإن التكييف القانوني لهذا الانسحاب المظنون الموهوم يجعله شيئاً آخر يخالف تماماً المعنى القانوني والسياسي والعرفي والأخلاقي لمبدأ " جدولة الانسحاب " ، لأن من أصل مفهوم الجدولة : أن يوافق العدو على إنهاء العمليات الحربية ، وأن تضع الحرب أوزارها ، ولكن لا يكون الانسحاب الفوري ممكناً ، وقد يجلب الفوضى العامة ، فيكون من اللائق جعل الانسحاب متدرجاً وعلى مراحل ، مع كمال السكون وإسكات الأسلحة ، وحصر التفكير في كيفية الخروج الآمن الذي يضمن عدم وقوع حرب أهلية بين مكونات الشعب العراقي ويكفل للعدو سلامة مؤخرته، مع تهيئة فرصة لقوات حكومية عراقية الولاء وغير حزبية لأن تتسلم زمام الأمور وإدارة البلاد إلى حين انتخاب حكومة متوازنة ، أو الاستعانة بقوات حيادية من بلاد عربية وإسلامية تساعد على الاستقرار ، والمعاهدة الحاضرة تتجاهل كل ذلك وتتجاوزه وتُصر على ممارسة عمليات سحق الجهاد الذي تسميه خروجاً على القانون ، وبذلك فإنها لا توفر أبداً معنى جدولة الانسحاب ، ولا هي في مصلحة العراق السياسية ، ولا في مصلحته الاجتماعية ، وتزيد الطين بِلّة ، وتطعن خاصرة الإسلام ، وتستمر في ظلم المجاهدين ، وبذلك يستمر وصفها المذموم ويتضح عنصر الضرر فيها ، ولا يمكن تأويلها بخير ، بل هي منكر وحرام في عقيدة التوحيد وأحكام الشرع ومفهوم القانون الدولي والقانون الدستوري ، بل وفي الأعراف والأخلاق ، ولا مجال لنا غير **الإفتاء بحرمة التوقيع عليها وإثم مَن يقترف ذلك من البرلمانيين والوزراء ورجال الدولة الرؤساء ، وإسقاط هذه الاتفاقية هو واجب الوقت ، وهو الأهم في سلسلة الواجبات المزدحمة ، وينبغي أن لا يتقدم عليه أي واجب آخر** ، وأما كون إسقاط المعاهدة يلتقي مع رغبة إيرانية أيضاً فذلك من الأقدار الربانية ، ولن تبدل هذه التوافقات القدرية من صفة المنكر ، الذي امتلأت به بنود المعاهدة ، ونحن ننطلق من تقدير شرعي وسياسي مستقل ، وأيما فائدة

تحققها إيران من إسقاط المعاهدة وتريد استثمارها ضد العراق فنحن أول مَن يعارضها ، وللجهاد طريقته العملية الصارمة في تلقين إيران الدروس لو أرادت العدوان والعبوس ، وذلك أسهل على الجهاد من دروسه الفصيحة التي لقنها للاستعمار الأميركي .

● وإضافة إلى ذلك فإن في المعاهدة أكثر من نوع من أنواع السوء التي قمت بشرحها في موقعي المعنون : www.alrashed-online.com على الانترنت من خلال كتاب سميته "**نقض المنطق السلمي**" تؤكد لمدى أبعد صفة الباطل الذي تحويه المعاهدة ، ومن ذلك ما يروّج له المفاوض العراقي من أنه استطاع إجبار العدو على إخضاع تصرفات الجندي الأميركي خارج القواعد للقانون العراقي ، وليس كذلك الأمر ، بل ذلك محصور فيما إذا ارتكب جريمة خارج مهمته التنفيذية ، وذلك نادر ولا يحصل أساساً ، إذ من السهل جداً إلحاق أي عمل للجنود الاستعماريين بوصف رسمي والشهادة له بأنه كان خلال تنفيذ العمليات أو أثناء التحضير لها أو أنه كان في أعقابها وتتمة لها ، ومعنى ذلك أيضاً أن الوحشية التي سيلجأ إليها الضباط الاستعماريون مقبولة ما دامت خلال عملية جماعية ، بل ذلك فيه كل الإغراء لهم بارتكاب المجازر ، والشر الباطن الكامن في هذا النص الخاص الاستدرَاكي أعنف من عمومية المفهوم الأول المستدرَك عليه ، وسيبقى هذا النص المفتقِد لمهارة الصياغة والشروط العقلانية مصدر خطر وتفسير كيفي ضار هادر لحقوق المعتدى عليهم من العراقيين .

□ والبديل عن ذلك : هو استثمار معطيات الجهاد ، وما حققه المجاهدون من إثخان في الجيش الأميركي العدواني ، وتوظيف ضغطهم الجهادي في تحقيق انسحاب جازم مُبَرم وفق جدول ينظمه ويمنع الفوضى ، مع حفظ حقوق المجاهدين في المشاركة في الحكومة العراقية بثقل ، وفي رقابتهم عليها ، وحفظ حقوق أهل السُنة والجماعة الذين ظلمهم الآخرون واستبد بهم الاستعمار ، مع تعويض الشهداء والجرحى وإطلاق سراح السجناء وتعويضهم ، ورفد المناطق

السُنية بخُطة تنموية مضاعفة الحجم فيها التعويض والاستدراك على ما حُرمت منه بسبب الجهاد والأوضاع الاستثنائية ، ثم تبديل الدستور الظالم المفتقد لعنصر التوازن ، وإرساء السياسة العراقية في مرحلتها الجديدة على قواعد الحرية والعدل والإنصاف وإقامة دين الله وحكم الشرع ، والرجوع إلى الأصالة ، ووحدة المجتمع العراقي وتحريم الانفصال ...

والله هو الغالب ، وله الأمر الأعلى سبحانه ، وهو ناصر المؤمنين .. وصلى الله على سيدنا مُحمد وعلى آله وصحبه الميامين الطاهرين أجمعين ❑❑❑

تحريراً في العشرين من شوال ١٤٢٩ هـ

الموافق ١٩ – ١٠ – ٢٠٠٨ م

● ووسواس النفوس التي يوهمها الشيطان أن أميركا دولة قوية لا تُقهر : أصبحَ مفضوحاً اليوم ، إذ ليس هناك شرٌ يدوم ولا تفلّه عزائم المصلحين ، بل له مُدة وأجل معلوم ، لأن طاغية مثل الرئيس الأميركي إنما هو أسير " حقيقته النفسية " التي خلقه الله عليها ، وفي النفس غرور وكبرياء تتضاعف عند الوصول إلى ذروة القوة ، وهذا الغرور هو الذي يُسبّب الخطوة الخطأ والقرار المُهلِك ، ومن الأمثلة عليه ، الواضحة في التاريخ : توسعات نابليون بعد لذة النصر الأولى ، واستطراده ، فانهزم في النهاية .. وقرار هتلر بفتح الجبهة الروسية بعد سيطرته على فرنسا وقصفه المتواصل لبريطانيا ، فكان في ذلك هلاكه .. واليوم فعلها بوش في العراق ، وأرهق الاقتصاد الأميركي ، وزاد في تلويث سمعة بلده ، وأتعبَ الشعبَ الأميركي ، وكل ذلك نخرٌ في عوامل التفوق .

محمد أحمد الراشد

عوالم تموج
وإبداع يحبص
ومدارات تأمّل
ووقفات قياس
فتولد بين محيطاتها
كتلة الخبرة
والوعي الصريح
فتتألق شرارات
من نارها يلون نور الصفحة الثانية
من الممارسة الجهادية
في العراق الأبيّ